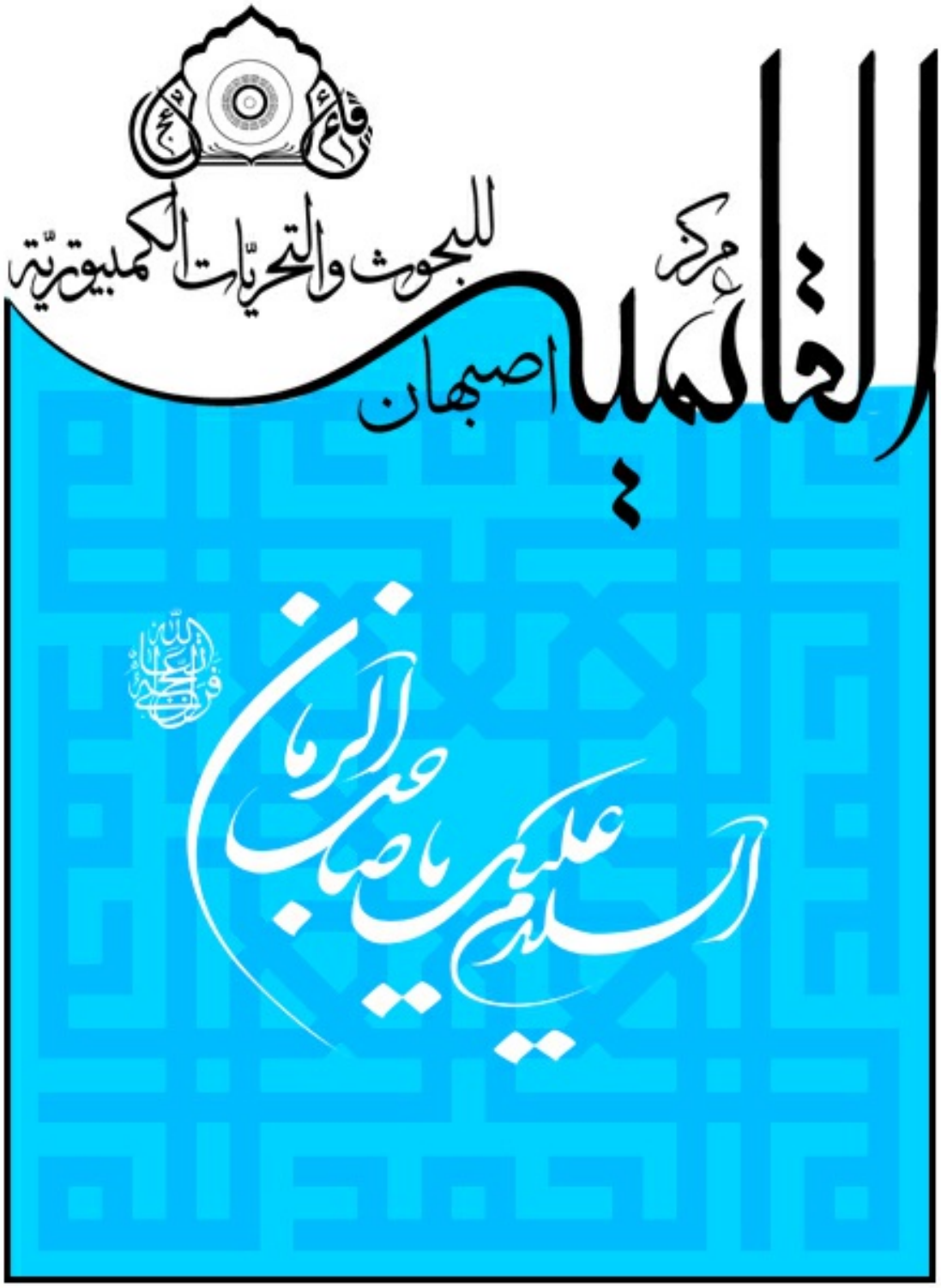

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة (٢)

سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة

السيد هاشم الميلاني

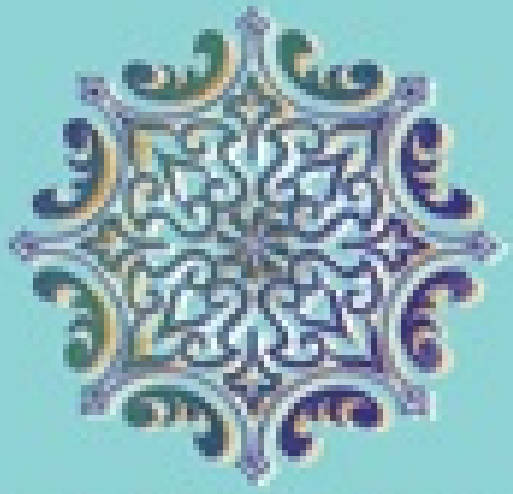

النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحیم

سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة

كاتب:

السيد هاشم الميلاني

نشرت في الطباعة:

العتبة العلوية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة 7

هوية الكتاب 7

اشارة 7

تمهيد 11

1 - علي و رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم 13

اشاره 13

1 - إسلامه عليه السلام: 14

2 - جهاده عليه السلام: 16

3 - اختصاصه بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم: 18

4 - الروايات المسندة: 20

5 - ساعة الرحيل: 25

2 - علي بعد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم 29

اشاره 29

1 - السقيفة: 30

2 - مظلومية الزهراء عليها السلام: 34

3 - فدك: 37

4 - مساعدة السلطة: 44

3 - علي عليه السلام والإمامة 47

4 - علي العلم والخلفاء 58

1 - أبو بكر: 58

2 - عمر بن الخطاب: 60

3 - عثمان بن عفان: 69

5 - علي عليه السلام و الخلافة 78
1 - البيعة 78
2 - تحليل نفسية المجتمع: 84
3 - وصف المسلمين آنذاك: 90
4 - سيرته عليه السلام الحكومية: 102
5 - سيرته عليه السلام المالية 113
6 - سيرته عليه السلام الحربية: 122
6 - علي عليه السلام و البغاة 130
1 - حكم البغاة 130
2 - أصحاب الجمل: 142
3 - أصحاب صفين: 151
4 - الخوارج: 165
7 - علي عليه السلام والصحابة 175
8 - علي عليه السلام وبنو امية 181
9 - علي عليه السلام وقريش 184
10 - أدعية علي عليه السلام 186
11 - الخصائص العلوية 194
12 - علي عليه السلام و الشهادة 210
الفهرس 213
تعريف مركز 215

سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة

هوية الكتاب

سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة

الناشر: العتبة العلوية المقدسة

تأليف: السيد هاشم الميلاني

تنضيد وإخراج: نذير هندي الكوفي

عدد النسخ: 1000 نسخة

سنة: 1432هـ- / 2011م

العتبة العلوية المقدسة، العراق . النجف الأشرف

هاتف: 07802337277 (00964)

لإبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الالكتروني:

info@haydarya.com

ص: 1

اشارة

العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة - 7

سيرة أمير المؤمنين عليه السلام فى نهج البلاغة

السيد هاشم الميلاني

النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية 2012م

ص: 2

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 4

تمهيد

ما زالت الدراسات و الأبحاث والكتب – منذ مئات السنين – تترى حول سيرة أمير المؤمنين عليه السلام وحياته، وما يحيطها منذ الولادة وحتى الشهادة.

ولم يتم لحدّ الآن - حسب ما أعلم - ببلوغرافية جامعة لكل ما كتب عن أمير المؤمنين من كتب و بحوث وحتى مقالات في المجلات و الصحف، وهو عمل جدير بالاهتمام، نعم هناك جهود مشكورة في هذا المجال ولكنها لم تكتمل بعد.

وقد اهتمت مكتبة الروضة الحيدرية بنشر التراث العلوي منذ اعادة تأسيسها لحد الآن، ومن جملة اهتماماتها مشروع «سلسلة في رحاب نهج البلاغة» حيث تتناول السلسلة ما يخصّ نهج البلاغة من دراسات وبحوث ودروس وكتيبات أخلاقية وغيرها، إذ انّ نهج البلاغة

يشكّل هويّة الإنسان المسلم لما في هذا السفر القيّم من مواضيع تخصّ أصول الدين وفروعه، وتبين مناهج الحياة.

ومعكم في هذه الحلقة من «سلسلة في رحاب نهج البلاغة» مع دراسة موجزة عن حياة أمير المؤمنين عليه السلام وسيرته العطرة من خلال ما جاء عن لسانه القدسي عليه السلام في نهج البلاغة.

ص: 6

1 - علي و رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم

اشاره

بزغ فجر الإسـلام في الجزيرة العربيـة بعـد فترة من الرسل، و بعد تفشّي الجاهلية الجهلاء في القبائل وبين الناس، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السـلام إلى هذه الحالة قائلاً: «انّ الله سـبحانه بعث محمداً نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شرّ دين، وفي شر دار، مُنيخُونَ بين حجـارة خُشنٍ وحيّات صُمّ، تشـربون الكَدِرَ، و تأكلون الجَشِبَ، و تسـفكون دماءكم، وتقطعون أرحامكم، الأصـنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة» (1).

و قال عليه السلام: «أرسله على حين فترة من الرسل، و طول هجعة من الأمم، و اعتزام من الفتن و انتشار من الأمور، و تلظٍّ من الحروب، و الـدنيا كاسـفة النور، ظاهرة الغرور على حين اصـفرار من ورقها و اياس من ثمرها و اغورار من مائها قـد درست منار الهدى و ظهرت أعلام الردى، فهي متجهّمة لأهلها، عابسة في وجه طالبها، ثمرها الفتنة، وطعامها الجيفة، وشعارها الخوف و دثارها السيف» (2).

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 26.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 88.

ففي هذه الظروف الحرجة ظهرت دعوة الاسلام وكان أوّل من أناب وأجاب اليها علي بن أبي طالب عليه السلام كما سيوافيك بيانه.

1 - إسلامه عليه السلام:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «والله لأنا أول من صدّقه» (1) و قال عليه السلام: «انّي ولدت على الفطرة و سبقت إلى الإسلام و الهجرة» (2) و قال عليه السلام: «فعلى من أكذب؟ أعلى الله، فأنا أوّل من آمن به، أم على نبيّه، فأنا صدّقه» (3) و قال عليه السلام: «اللهم انّي أوّل من أناب و سمع و أجاب لم يسبقني إلّا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالصلاة» (4).

وقال عليه السلام: «ولم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و خديجة وأنا ثالثهما» (5)

تشير هذه النصوص إلى انّ أمير المؤمنين عليه السلام أوّل من أسلم، هذا ما دلّ عليه الروايات الكثيرة الصحيحة و الموثقة والمعتبرة، ونظمه الشعراء أيضاً في قصائدهم، واعترف به كثير من الصحابة والتابعين.

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 26

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم 56

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 70

4- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 131

5- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 192

فمن الروايـات ما أورده الحاكم و الطبراني وصـححه الهيثمي في مجمع الزوائـد عن رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم انّه قال لفاطمة عليها السلام: «أنه لأول أصحابي سلماً، و أكثرهم و أكثرهم علماً، و أعظمهم حلماً» (1).

و في مسـتدرك الحاكم و سـنن ابن ماجة، عن علي عليه السـلام قال: «صلّيت قبل الناس بسبع سنين» (2) وعن علي عليه السـلام قال: «أنا أوّل من صـلى مع رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم» قال الهيثمي في مجمع الزوائـد: «رواه أحمـد ورجاله رجال الصـحيح غير حبة العرني وقد وثق» (3)

و في المستدرك للحاكم (4) و قـد صـححه عن ابن عباس قال: «كان علي أول من آمن من الناس بعد خديجة» و رواه أيضاً ابن عبد البر في الاستيعاب و قال: «هذا اسـناد لا مطعن فيه لأحد لصـحته وثقة نقله، وهو يعارض ما ذكرناه عن ابن عباس في باب أبي بكر، و الصـحيح في أمر أبي بكر أنّه أوّل من أظهر اسلامه، كذلك قال مجاهد و غيره و قالوا: و منعه قومه وقال ابن شهاب وعبد الله بن محمد بن عقيل وقتادة و أبو إسحاق: أوّل من أسلم من الرجال علي، و اتفقوا على أنّ خديجة أول من آمن بالله و رسوله وصدّقه فيما جاء به، ثم عليّ بعدها» (5) .

1- مجمع الزوائد:9 102

2- مستدرك الحاكم 3 112، سنن ابن ماجة 1: 44.

3- مجمع الزوائد 9: 103

4- مستدرك الحاكم 3: 133.

5- الاستيعاب: 3: 1092.

فبعد هذا لا يبقى مجال للشك في تقدّم اسلام أمير المؤمنين عليه السلام سيما انّ الروايات الواردة في تقدّم إسلام أبي بكر مدخولة وضعيفة، وقد روى الطبري عن محمد بن سعد ما يدلّ على انّ أبا بكر أسلم بعد خمسين رجلاً، قال محمد بن سعد: قلت لأبي: أكان أبو بكر أولكم اسلاماً؟ فقال: لا، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين رجلاً (1).

2 - جهاده عليه السلام:

كان لسيف أمير المؤمنين عليه السلام الدور البارز في تثبيت أركان الإسلام، فقد ورد في كشف الغمة للاربلي عن الحسن البصري انّه قال: «استوى الإسلام بسيف علي عليه السلام» (2) و قال العلامة الحلي: «وبسيفه ثبتت قواعد الإسلام، و تشيّدت أركان الإيمان» (3).

ونحن هنا لسنا بصدد سرد مواقف أمير المؤمنين عليه السلام الجهادية إلّا بقدر ما وردت الإشارة إليها في نهج البلاغة، لذا نحيل القارئ الكريم إلى كتب السير والتاريخ.

انّ الأساس الذي اعتمد عليه أمير المؤمنين عليه السلام في جهاده، هو نصرة الحق، ولذا كان يقول: «و لعمري ما عليّ من قتال من خالف

1- تاريخ الطبري 2: 60.

2- كشف الغمة 1: 322

3- منهاج الكرامة: 164.

الحق وخابط الغي من إدهان ولا إيهان» (1).

و هو عليه السلام يصف لنا صورة رائعة من الجهاد و التضحية و يقول: «ولقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نقتل آباءنا وأبناءنا و إخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك الّا إيماناً وتسليماً ومضياً على اللقم، و صبراً على مضض الألم، وجدّاً على جهاد العدوّ، ولقد كان الرجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرّة لنا من عدوّنا، و مرّة لعدوّنا منّا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتى استقرّ الإسلام ملقياً جرانه، ومتبوئاً أوطانه» (2).

و علي عليه السلام كان هو الرجل البارز في هذا الميدان حيث يقول في وصف بعثة النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «فقاتل بمن أطاعه من عصاه، يسوقهم إلى منجاتهم ... و ايم الله لقد كنت من ساقتِها حتى تولت بحذافيرها، و استوسقت في قيادها ما ضعفت ولا جبنت ...» (3).

و قال عليه السلام في كتاب كتبه إلى معاوية: «فأنا أبو حسن، قاتل جدك و خالك وأخيك شدخاً يوم بدر» (4) 0

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 24

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم 55

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 103

4- المصدر نفسه الكتاب رقم 10

3 - اختصاصه بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كالصنو من الصنو، والذراع من العضد» (1). يدلّ هذا النص الشريف على شدّة اختصاص أمير المؤمنين عليه السلام بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم وقربه منه وهذا شيء لا ينكر، وقد نطقت به كتب الحديث و التاريخ. فهو عليه السلام تربى في حجر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وكان معه إلى آخر لحظة، وكم من حادث ورواية وردت في الصحاح والمسانيد أثبتت هذا الأمر كحديث المنزلة، وحديث

الدار، وحديث الطير، وحديث المؤاخاة، وحديث الغدير وغيرها.

وقال عليه السلام أيضاً: «و لقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخر الأقدام» (2).

و صوّر عليه السلام في نص آخر مدى قربه واختصاصه بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم و قال: «وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه ويمسّ ني جسده ويشمّني عرفه وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل ... و لقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر امّه، يرفع لي في كل يوم عَلَماً من أخلاقه، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري ولم

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 45.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم 197

يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وخديجة و أنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوّة، ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه فقلت: يارسول الله ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، انّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، الّا انّك لست بنبي ولكنّك وزير، وانّك لعلى خير».(1)

وهذا شرف ليس بعده شرف و أين هذه المنقبة من تلك التي تمسكوا بها في آية الغار، و مصاحبة أبي بكر للنبي صلى الله عليه و آله و سلم لساعات من النهار، حيث استدلّوا بها على أفضليته واستحقاقه الخلافة، وهو لم يشهد نزول الوحي، ولم يسمع رنّة الشيطان، ولم يتوسّم بوسام ولكنّك وزير وانّك لعلى خير» فأين هذه من تلك؟

و قد قال ابن أبي الحديد في شرحه نقلاً عن شيخه أبي جعفر: «ثم أنتم معشر العثمانية تثبتون لأبي بكر فضيلة بصحبة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم من مكة إلى يثرب و دخوله معه في الغار فقلتم: مرتبة شريفة و حال جليلة، إذ كان شريكه في الهجرة، و أنيسه في الوحدة، فأين هذه من صحبة علي عليه السلام له في خلوته، وحيث لا يجد انساً غيره ليله و نهاره، أيام مقامه بمكة يعبد الله معه سرّاً، ويتكلّف له الحاجة جهراً، و يخدمه كالعبد يخدم مولاه، و يشفق عليه ويحوطه وكالولد يبرّ والده و يعطف عليه» (2) .

1- نهج البلاغه، الخطبة رقم: 192

2- شرح ابن أبي الحديد 13: 252.

4 - الروايات المسندة:

لقد ورد في نهج البلاغة مجموعة من الروايات أسندها أمير المؤمنين عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم واستشهد بها تأييداً لكلامه، نوردها كما هي لمزيد الفائدة.

1 - قال عليه السلام: «أيّها الناس خذوها عن خاتم النبيين صلى الله عليه و آله و سلم: انّه يموت من مات منّا وليس بميّت ويبلى من بلي منّا وليس ببال (1).

2 - قال عليه السلام: «و اعلم انّ لكلّ ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبث باطنه، وقد قال الرسول الصادق صلى الله عليه و آله و سلم: انّ الله يحبّ العبد و يبغض عمله، و يحبّ العمل ويبغض بدنه» (2)

3 - قال عليه السلام: «لما أنزل الله سبحانه قوله: (الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ) (3) علمت أنّ الفتنة لا تنزل بنا و رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بين أظهرنا. فقلت يا رسول الله، ما هذه الفتنة الّتي أخبرك الله بها؟ فقال: يا علي إنّ أمّتي سيفتنون من بعدي فقلت: يا رسول الله أوليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين، وحيزت عنّي الشّهادة، فشقّ ذلك عليّ، فقلت لي:

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 86.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 154.

3- العنكبوت: 1 - 2.

أبشر، فإنّ الشّهادة من ورائك؟ فقال لي: إنّ ذلك لكذلك، فكيف صبرك إذن؟.

فقلت: يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبّر، ولكن من مواطن البشرى و الشّكر.

و قال: يا عليّ، إنّ القوم سيفتنون بأموالهم، ويمنّون بدينهم على ربّهم، ويتمنّون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلّون حرامه بالشّبهات الكاذبة، و الأهواء السّاهية، فيستحلّون الخمر بالنّبيذ، والسّحت بالهديّة، و الرّبا بالبيع قلت: يا رسول الله، فبأيّ المنازل أنزلهم عند ذلك؟ أبمنزلة ردّة، أم بمنزلة فتنة؟ فقال: بمنزلة فتنة» (1).

4 – قال عليه السلام في وصف زهد النبي صلى الله عليه و آله و سلم وإعراضه عن الدنيا: ويكون الستر على باب بيته فتكون فيه التصاوير، فيقول: يافلانة – لإحدى أزواجه – غيّبيه عنّي، فانّي إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا و زخارفها» (2).

5 – قال عليه السلام: اني سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، فيُلقى في نار جهنّم، فيدور فيها كما تدار الرحى، ثم يرتبط في قعرها» (3).

6 – قال عليه السلام: «انّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان يقول: انّ الجنة حُفّت عليه 64

1- نهج البلاغة الخطبة رقم 156.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 160.

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 164

بالمكاره، وانّ النار حُفّت بالشهوات» (1).

7 – قال علیه السلام: «لقد قال رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم: لا یستقیم إیمان عبد حتی یستقیم قلبه، ولا یستقیم قلبه حتی یستقیم لسانه» (2)

8 – قال علیه السلام: «إذا رأیتم خیراً فأعینوا علیه، وإذا رأیتم شراً فاذهبوا عنه، فانّ رسول الله الله کان یقول: یابن آدم اعمل الخیر ودع الشر، فاذا أنت جواد قاصد» (3).

9 – قال علیه السلام: «ولقد سمعت رنّة الشیطان حین نزل الوحي علیه صلی الله علیه و آله و سلم فقلت: یا رسول الله ما هذه الرّنّة؟ فقال: هذا الشّیطان قد أیس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع، و تری ما أری، إلا أنّك لست بنبيّ، ولکنّك وزیر، وإنّك لعلی خیر. ولقد کنت معه صلی الله علیه و آله و سلم لمّا أتاه الملأ من قریش، فقالوا له: یا محمد إنّك قد ادّعیت عظیماً لم یدّعه آباؤك ولا أحد من بیتك، ونحن نسألك أمراً إن أجبتنا إلیه وأریتناه علمنا أنّك ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنّك ساحر کذّاب.

فقال لهم صلی الله علیه و آله و سلم: وما تسألون؟ قالوا: تدعو لنا هذه الشّجرة حتّی تنقلع بعروقها وتقف بین یدیك. فقال صلی الله علیه و آله و سلم: إن الله علی کلّ شيء قدیر، فإن فعل الله ذلك لکم أتؤمنون و تشهدون بالحقّ! قالوا: نعم. .

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 176.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 176.

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 176.

قـال: فـإنّي سـأريكم مـا تطلبون وإنّي لأعلم أنّكم لا تفيئون إلى خير وإنّ فيكم من يطرح في القليب، ومن يحزّب الأحزاب. ثمّ قال: يا أيّتها الشّجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر، وتعلمين أنّي رسول الله، فانقلعي بعروقك حتّى تقفي بين يديّ بإذن الله.

فوالّذي بعثه بالحقّ نبيّاً لانقلعت بعروقها، وجاءت ولها دويّ شديد وقصف كقصف أجنحة الطّير، حتّى وقفت بين يدي رسول الله مرفرفةً، و ألقت بغصـنها الأعلى على رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم، وببعض أغصانها على منكبي، وكنت عن يمينه عليه السـلام. فلمّا نظر القوم إلى ذلك قالوا – علوّاً و اسـتكباراً – : فمرها فليأتك نصـفها ويبقى نصـفها. فأمرها بذلك، فأقبل إليه نصـفها كأعجب إقبال وأشدّه دويّاً، فكادت تلتفّ برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. فقالوا – كفراً وعتوّاً – : فمر هذا النّصف فليرجع إلى نصفه كما كان. فأمره عليه السلام فرجع. فقلت أنـا: لا إله إلا الله، إنّي أوّل مؤمن بـك يـا رسول الله، و أوّل من آمن بـأنّ الشّجرة فعلت مـا فعلت بأمر الله تصـديقاً لنبوّتك، وإجلالاً لكلمتك. فقال القوم كلّهم: بل ساحر كذّاب عجيب السّحر خفيف فيه، و هل يصدّقك في أمرك إلّا مثل هذا! يعنونني»(1).

10 – قال عليه السلام: «فانّه لا سواء إمام الهدى وإمام الردى، ووليّ النبيّ وعدوّ النبي، و لقد قال لي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: انّي لا أخاف على .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 192.

امّتي مؤمناً ولا مشـركاً، أما المؤمن فيمنعه الله بايمانه، وأما المشرك فيقمعه الله بشركه، ولكنّي أخاف عليكم كل منافق الجّنان، عالم اللسان، يقول ما تعرفون، ويفعل ما تنكرون» (1).

11 – قال عليه السلام و قد أوصى ولديه الحسن و الحسين عليهما السلام في ابن ملجم لعنه الله قائلاً: «ألا لا تقتلنّ بي إلّا قاتلي، انظروا إذا أنا متّ من ضـربته هذه فاضـربوه ضـربة بضربة، ولا يُمثّل بالرجل، فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: يقول: إياكم و المثلة ولو بالكلب العقور» (2)

12 – قال عليه السلام في وصيته لهما عليهما السلام أيضاً: «أوصيكما وجميع ولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم، فانّي سمعت جدّكما صلى الله عليه و آله و سلم يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام». (3)

13 – قال عليه السـلام في عهـده للأشتر في لزوم الاهتمام بالضـعفاء: «فانّي سـمعت رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم يقول في غير موطن: لن تقدّس امة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوي غير متعتع» (4)

14 – قال عليه السلام له أيضاً: «و إذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن.

1- نهج البلاغة، الكتاب رقم: 27.

2- المصدر نفسه الكتاب رقم 47.

3- المصدر نفسه، الكتاب رقم 47.

4- المصدر نفسه الكتاب رقم 53.

منفّراً ولا مضيّعاً، فانّ في الناس من به العلّة وله الحاجة، وقد سألت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حين وجّهني إلى اليمن: كيف أُصلّي بهم؟ فقال: صلّ بهم كصلاة أضعفهم وكن بالمؤمنين رحيماً» (1).

15 – قال عليه السلام: «وقد كان فيما عهد اليّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في وصاياه: تحضيضاً على الصلاة والزكاة وما ملكت أيمانكم» (2).

16 – وسُئل عليه السلام عن قول النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «غيّروا الشيب ولا تشّبهوا باليهود؟ فقال عليه السلام: انّما قال ذلك والدين قُلّ، فأما الآن وقد اتسع نطاقه، وضرب بجرانه فامرؤ وما اختار» (3).

17 – قال عليه السلام: «لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجمّاتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني، و ذلك انّه قُضي فانقضى على لسان النبي صلى الله عليه و آله و سلم انّه قال: لا يبغضك مؤمن، و لا يحبّك منافق» (4).

5 – ساعة الرحيل:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و انّ رأسه لعلى

1– نهج البلاغة الكتاب رقم 53.

2– المصدر نفسه الكتاب رقم 53.

3– المصدر نفسه، قصار الحكم: 13.

4– المصدر نفسه، قصار الحكم: 40.

صدري، ولقد سالت نفسه في كفّي، فأمررتها على وجهي» (1)

وقال عليه السلام أيضاً: «فلقد و سّدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك» (2).

ويؤيد هذا ما ورد عن عائشة أنّها قالت لامرأتين سألنها عن علي عليه السلام: «أيّ شيء تسألن عن رجل وضع يده من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم موضعاً فسالت نفسه في يده، فمسح بها وجهه» (3).

و في الحديث الصحيح عن أم سلمة أنّها قالت: «و الذي أحلف به إن كان عليّ لأقرب الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عدنا رسول الله غداة وهو يقول: جاء علي، جاء عليّ؟ مراراً، فقالت فاطمة: كأنّك بعثته في حاجة، قالت: فجاء بعد قالت أم سلمة فظننت انّ له إليه حاجة فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب، وكنت أدناهم إلى الباب، فأكبّ عليه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وجعل يسارّه و يناجيه، ثم قبض رسول الله من يومه ذلك، فكان علي أقرب الناس عهداً» (4).

وقيل لابن عباس: أرأيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم توفّي ورأسه في حجر أحد؟ قال: توفي وهو لمستند إلى صدر عليّ قلت: فانّ عروة حدّثني عن عائشة أنها .

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 197.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 202

3- تاريخ دمشق لابن عساكر 42: 394.

4- المستدرك للحاكم 3: 139 وصححه.

قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بين سحري و نحري، فقال ابن عباس: أتعقل هذا؟ والله لتوفي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أنّه لمستند إلى صدر علي» (1)

و عن أبي رافع قال: «توفي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و رأسه في حجر علي ابن أبي طالب ...» (2).

و عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ورأسه في حجر علي» (3).

وعن الشعبي قال: «توفي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ورأسه في حجر عليّ» (4).

فهذه الروايات و غيرها الواردة عن الصحابة و التابعين تدلّ بصراحة على انّ الرسول الأكرمه صلى الله عليه و آله و سلم توفي ورأسه في حجر علي عليه السلام، و عليه فلا قيمة لما رواه القوم عن لسان عائشة من انّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم توفي بين سحرها ونحرها، إذ أنّه لا يقاوم سائر الأخبار الصحيحة والحسنة والموثقة التي تعارضه.

و أيضاً ممّا لا إشكال فيه و لا خلاف حوله انّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الذي تولّى غسل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقد قال عليه السلام: «ولقد و ليت غسله صلى الله عليه و آله و سلم و الملائكة أعواني فضجّت الدار و الأفنية، ملأ يهبط وملأ .

1- الطبقات لابن سعد 2 263.

2- مجمع الزوائد للهيثمي 1: 293.

3- الطبقات لابن سعد 2: 262.

4- المصدر نفسه 2: 262.

يعرج، و ما فارقت سمعي هينمة منهم يصلّون عليه حتى و ارياه في ضريحه» (1)

فانظر إلى هـذه المنقبة الشـريفة، تتلو منقبة بدء الوحي حيث كان عليه السـلام يرى نور الوحي و الرسالة، ويشمّ ريح النبوة، و قال له الرسول صلى الله عليه و آله و سلم: «انّك تسمع ما أسمع، و ترى ما أرى» وسمع أيضاً رنّة الشيطان فياله من شرف عظيم.

وقد أثّرت مصـيبة رسول الله صـلى الله عليه و آله و سلم على قلب أمير المؤمنين عليه السلام أشدّ تأثير حتى انّه ترك الخضاب، فقد قيل له: لو غيّرت شـيبك يا أمير المؤمنين، فقال عليه السـلام: «الخضاب زينة، و نحن قوم في مصيبة» قال الشريف الرضي موضّحاً: يريد برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم (2).

و قال عليه السـلام عنـد تغسـيل رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم: «بأبي أنت و أمي، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة و الأنباء و أخبار السـماء خصّصت حتى صـرت مسلّياً عمّن سواك، وعمّمت حتى صار الناس فيك سواء، ولولا انّك أمرت بالصبر، و نهيت عن الجزع، لأنفذنا عليك ماء الشؤون، ولكان الداء مماطلاً، و الكمد محالفاً، و قلّا لك، ولكنّه ما لا يمكن ردّه و لا يستطاع دفعه، بأبي أنت وأمّي اذكرنا عند ربك و اجعلنا من بالك» (3)..

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 197.

2- المصدر نفسه، قصار الحكم: 461.

3- المصدر نفسه الخطبة رقم 234.

2 - علي بعد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم

اشاره

صحّ عن رسول الله صـلى الله عليه و آله و سلم أنّه أخبر أمير المؤمنين عليه السلام بغدر الأمة إياه، فقد روى الحاكم في المستدرك عن أمير المؤمنين عليه السـلام انّه قال: «قال لي رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم: انّ الأمة ستغدر بك بعدي» (1)، و قال ابن أبي الحديد في شرح النهج: «وقد روى أكثر أهل الحديث هذا الخبر بهذا اللفظ أو بقريب منه» (2).

و بوادر الغـدر كانت تلوح قبيل وفاته صـلى الله عليه و آله و سـلم من التخلّف عن جيش اسامة، و التكلّم في إمارته، وعدم إحضار الدواة و الكتف عندما طلبها النبي صلى الله عليه و آله و سلم ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً (3).

ومـا أن رحـل النبي صـلى الله عليه و آله و سـلم إلى الملأ الأـعلى - وقبل أن يُـدفن - حتى حصل ما حصل من إقصاء أهل البيت عليهم السلام والتعدّي عليهم، وغصب حقوقهم الثابتة بنص القرآن و السنّة. وفيما يلي نشير إلى بعض تلك

1- المستدرك للحاكم 3: 142 وصححه.

2- شرح النهج لابن أبي الحديد 4: 107

3- راجع صحيح البخاري 5: 137، و صحيح مسلم 5: 76 5 137

الأمور بالاعتماد على ما ورد في نهج البلاغة:

1 - السقيفة:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فلما مضى صلى الله عليه و آله و سلم تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يُلقى في روعي، ولا يخطر ببالي انّ العرب تُزعج هذا الأ من بعده عن أهل بيته ولا انّهم منحّوه عنّي من بعده» (1).

وقال عليه السلام بعدما ذكر اختصاصه بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم و قربه منه ومواساته في جميع المواطن، ثم رحيله على صدره وتولّي غسله مع الملائكة: «فمن ذا أحق به منّي حياً وميتاً؟!» (2).

لقد صدق إخبار النبي صلى الله عليه و آله و سلم لعليّ عليه السلام بغدر الأمة إياه بعد رحيله مباشرة، فاجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة وكان أبو بكر خارج المدينة، فجاء عمر وبثّ دعاية عدم موت النبي صلى الله عليه و آله و سلم و توعّد لمن قال بموته، أما بنو هاشم فقد اجتمعوا حول الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و اهتموا بغسله ودفنه.

كان هناك انقلاب سياسي خطط له من ذي قبل كل يجرّ النار إلى قرصه، وكأنّه لم يكن أيّ شيء مذكوراً أو مأثوراً عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم ولو

1- نهج البلاغة الكتاب رقم 62.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 197.

بالاشارة والإيماء - لو تنزلنا عن التصريح – فأين حديث الغدير، وأين حديث الثقلين، وأين حديث المنزلة، وأين وأين؟!

وهنا نص خطير يرويه البخاري عن عمر بن الخطاب يصوّر الانقلاب السياسي الذي حصل فقد قال عمر بن الخطاب: «انّه قد كان من خبرنا حين توفي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم انّ الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنّا علي و الزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر انطلق بنا إلى اخواننا هؤلاء من الأنصار، فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا رجلان منهم صالحان، فذكرا ما تمالأ عليه القوم، فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد اخواننا هؤلاء من الأنصار، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم اقضوا أمركم فقلت: والله لنأتينّهم، فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة ... فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، ويحضنونا من الأمر ... فتكلّم أبو بكر ... فقال: ... لم يعرف هذا الأمر الّا لهذا الحيّ من قريش هم أوسط العرب نسباً و داراً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، فأخذ بيدي و بيد أبي عبيدة بن الجراح ... فكثر اللغط و ارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار» (1). 7

1- صحيح البخاري 8: 27

ويلاحظ على هذا النص امور:

يذكر عمر انّ الأنصار خالفوهم و اجتمعوا في السقيفة، ممّا يعني انّه كان يرى الأمر ثابتاً لغير الأنصار، وهذا أوّل الكلام، فانّ الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لم ينص على أحد ولا على قبيلة بحسب زعمهم، فمن أين جاءت هذه الرؤية حتى ينسب الأنصار إلى المخالفة؟

ثم يقول عمر: خالف عنّا عليّ والزبير ومن معهما والحال انّ الأمر لم يتم بعد ولم يعلم أحد لمن ستكون الخلافة، فيكف يقول: (خالف عنّا).

ثم يدلّ على تخلّف علي عليه السلام والزبير وغيرهما عن هذا الأمر لانشغالهم بأمر تجهيز الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، ولا أفهم كيف ترك زعماء القوم وكبار الصحابة تجهيز النبي صلى الله عليه و آله و سلم و انشغلوا بأمر الخلافة؟!

ثم يدل النص على انطلاق عمر وأبي بكر ومن معهما إلى الأنصار، لا لأن يدعوهم إلى المشاركة في تجهيز النبي صلى الله عليه و آله و سلم ولا لنصيحتهم بالصبر حتى يتمّ دفن النبي صلى الله عليه و آله و سلم ويحضر وجوه القوم، بل لأجل أن لا يقصوا من الأمر، وقد صرّح عمر بهذا حيث قال: «فاذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويحضنونا من الأمر»، أي يخرجونا من الأمر، وفي سيرة ابن هشام ويغصبونا الأمر وكأنّ أمر الخلافة ثابت لهم، فكيف يتفق هذا مع عدم وجود النص كما يزعمون؟!

وكذا قوله: فذكر ما تمالأ عليه القوم أي الأنصار، فكأنّ هناك حق تمالأ عليه الأنصار ليقصوه عن أهله والحال انّ مدرسة الخلفاء

تعتقد بعدم وجود أيّ نص فأيّ معنى يبقى لتمالاً الأنصار غير الانقلاب السياسي المبيّت من قبل بعض الصحابة.

ثم الأطرف من هذا قول أبي بكر: لم يعرف هذا الأمر إلّا لهذا الحيّ من قريش وفي لفظ ابن هشام في السيرة: لن تعرف العرب هذا الأمر الّا لهـذا الحيّ من قريش وكأنّ الأنصار ليسوا من العرب، وكأنّ رجال قريش وكبارها أو كلوا الأمر إلى أبي بكر وعمر وأبي عبيدة ليتكلّموا ويقروا بالنيابة عنهم، حيث يتبرع أبو بكر الأمر لعمر أو لأبي عبيدة، أو يتبرع عمر الأمر لأبي بكر؟! فأين شيوخ قريش وكبارها؟! أين العباس عمّ النبي صلى الله عليه و آله و سلم وأين علي عليه السلام، وأين غيرهما من الشجعان وذوي النجدة والكفاءة لو كان الأمر لقريش كما يزعمون؟!

ولماذا لم نسـمع من واحد منهم تأجيل الأمر حتى يدفن الرسول، ثم يجتمع وجوه الناس و شيوخهم للبتّ بأمر الخلافة، فلماذا هذه العجلة والتسرّع التي تعطي صورة سيّئة عنهم للتغلّب على الحكم.

وقـد أشار أمير المؤمنين عليه السـلام إلى تلك الأحداث بعدما تم بعدما تم الأمر وقال: ما قالت الأنصار؟ قالوا: قالت: منّا أمير ومنكم أمير قال عليه السـلام: (فهلا احتججتم عليهم بانّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وصّى بأن يُحسن إلى محسنهم، ويُتجاوز عن مسيئهم؟ قـالوا: ومـا في هـذا من الحجـة عليهم؟ فقـال عليه السـلام: «لو كـانت الإمارة فيهم لم تكن الوصـية بهم، ثم قال: فماذا قالت قريش؟ قالوا احتجّت بأنّها شجرة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم

فقال: احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة (1).

وقال عليه السلام في مكان آخر لمعاوية: ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فالجوا عليهم، فان يكن الفلج فالحق لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم» (2).

طبعاً هذه الخلافات كانت بمرأى ومسمع من اليهود والنصارى وغيرهما، وكان موضع سخريتهم، حتى قال بعض اليهود لأمير المؤمنين عليه السلام: ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه، وهنا انبرى أمير المؤمنين عليه السلام كعادته للدفاع عن الإسلام قائلاً: «انّما اختلفنا عنه لا فيه، ولكنكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، قال: انكم قوم تجهلون» (3).

2 - مظلومية الزهراء عليها السلام:

انّ الحديث عن الزهراء عليها السلام ومظلوميتها وما جرى عليها بعد أبيها صلى الله عليه و آله و سلم، ذو شجون، و حقيق بالانسان الحرّ الذي أطلق عقله عن أسر التعصبات المذهبية أن يأسف على امّة سرعان ما نست وصايا رسولها بحق ابنته وأهل بيته بحيث تموت أم أبيها و حبيبة قلب المصطفى فاطمة الزهراء عليها السلام وهي في مقاطعة سياسية للسلطة الحاكمة آنذاك.

1- نهج البلاغة الخطبة رقم 66.

2- المصدر نفسه الكتاب رقم 28

3- المصدر نفسه، قصار الحكم: 308

فقد ثبت في الصحيح انّ فاطمة عليها السلام وجدت على أبي بكر فهجرته ولم تكلّمه حتى توفيت (1) كما سنبيّن سببه لاحقاً.

فهل من المعقول انّ أشرف قبيلة في قريش وهم بنو هاشم، وأشرف بيت في بني هاشم وهم عترة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم يقاطعون السلطة الفتية آنذاك، والتي يجب دعمها وتشييد مبانيها في تلك الظروف الحرجة، لا لشيء سوى الدنيا والصراع على المناصب، وهم هم في زهدهم وبعدهم عن الدنيا وزخارفها و نبذهم لها – كما هو ثابت عند الفريقين – ففاطمة تغضب على السلطة وتقاطعها، وعليّ يغضب على السلطة ولم يبايع وكذلك باقي البيوت الهاشمية، أليس هذا ينبئ عن شيء أخطر وأعمق ممّا يتصوره السذّج من الناس. فانتظر فسيوافيك بيانه في مسألة الإمامة و النص.

و نحن يكفينا في إدانة القوم، و اثبات مظلومية الزهراء عليه السلام، ما ذكرناه آنفاً من الثابت الصحيح عند أهل السنة من غضب الزهراء عليها السلام على القائمين بالأمر آنذاك، ونضيفك بياناً ما ورد من إقدام عمر بن الخطاب على تهديد بيت الوحي بالإحراق والهجوم عليه، وذلك ما رواه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة عن عمر بن الخطاب لما جاء بالحطب إلى دار فاطمة فقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها، فقيل له: يا أبا حفص انّ فيها فاطمة فقال: وإن(2) .

1- صحيح البخاري 5: 82، وصحيح مسلم 5: 154.

2- الإمامة والسياسة 1: 19.

و ما رواه المنقري من كلام عمرو بن العاص لمعاوية لما منع الماء عن جيش علي عليه السلام فنهاه عمرو وقال له: وقد سمعته أنا وأنت وهو يقول له: لو استمكنت من أربعين رجلاً فذكر أمراً. يعني لو انّ معي أربعين رجلاً يوم فتش البيت، يعني بيت فاطمة(1).

ونقل الصفدي عن النظام – شيخ الجاحظ ومن كبار المعتزلة – انّه كان يقول: انّ عمر ضرب بطن فاطمة حتى ألقت المحسن من بطنها (2).

و أكّد هذا ندم أبي بكر عند وفاته على بعض ما صنعه، منها قوله: وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة عن شيء و إن كانوا قد أغلقوه على حرب (3).

فهذه النصوص وغيرها تدلّ على الإقدام لإحراق البيت بجمع الحطب، و تدلّ على تفتيش البيت و الكشف عنه، وتدلّ على اسقاط المحسن، ظلامة ما فوقها ظلامة.

و إشارة إلى هذه الظلامات قال أمير المؤمنين عليه السلام عند دفن فاطمة الزهراء عليها السلام مخاطباً الرسول عليها السلام: «السلام عليك يا رسول الله عنّي و عن ابنتك النازلة في جوارك، و السريعة اللحاق بك، ... انّا لله وانّا إليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعة، وأُخذت الرهينة، أمّا حزني فسرمد، و أمّا ليلي فمسهّد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، و ستنبئك .

1- وقعة صفين: 163.

2- الوافي بالوفيات 6 15

3- تاريخ الطبري: 431، العقد الفريد لابن عبد ربه 4 267.

ابنتك بتظافر امتك على هضمها، فأحفها السؤال واستخبرها الحال هذا ولم يطل العهد، ولم يخل منك الذكر (1).

3 – فدك:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: بلى كانت في أيدينا فدك من كلّ ما أظلته السماء، فشحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله. و ما أصنع بفدك و غير فدك و النفس مظانّها في غد جدث (2).

يدل هذا النص الشريف على عدّة أمور:

1 – قوله عليه السلام: بلى كانت في أيدينا فدك مما يدلّ على صحة دعوى الزهراء عليه السلام بانّ فدك لها، و يدل عليه ما رواه السيوطي عن البزار و أبي يعلى وابن أبي حاتم و ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري انّه قال: لما نزلت هذه الآية: (وَ آتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ) (3) دعا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فاطمة فأعطاها فدك (4).

وجاءت عليها السلام على ذلك بشهود، ففي تاريخ المدينة لابن شبة أنّها قالت لأبي بكر: انّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أعطاني فدكاً»، فقال لها: هل لك

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 202.

2- المصدر نفسه الكتاب رقم 45

3- الإسراء: 26

4- الدر المنثور:4 177، وانظر كنز العمال 3: 767

على ذلك بيّنة؟ فجاءت بعلي فشـهد لها، ثم جاءت بأم أيمن فقالت: أليس تشـهد انّي من أهل الجنة؟ قال: بلى قالت: فأشهد ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم أعطاها فدكاً، فقال أبو بكر: فبرجل و امرأة تستحقينها أو تستحقين بها القضية (1).

ثم انّ للزهراء عليها السـلام حقاً آخر منعت منه أيضاً، ألا أيضاً، ألا و هو إرثها من النبي صـلى الله عليه و آله و سلم ممّا أفاء الله عليه و ممّا اصـطفاه لنفسه و الذي دخل في ملكه منعت منه أيضاً استناداً إلى حديث نسبه أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم انّه قال: سمعت رسول الله يقول: «ما نورث ما تركنا صدقة انّما يأكل آل محمد من هذا المال» (2).

قال ابن أبي الحديد في شـرح النهج: و قد مات رسول الله صـلى الله عليه و آله و سلم وله ضياع كثيرة جليلة جداً بخيبر وفدك وبني النضير، وكان له وادي نخلة وضياع أخرى كثيرة بالطائف فصارت بعد موته صدقة بالخبر الذي رواه أبو بكر (3).

وكان رسول الله الزهـده في الـدنيا يأخذ نفقته ونفقة عياله من هذه الأموال و يصـرف الباقي في وجوه البر، كما قال عمر: «فما فضل عن نفقة أهله ردّها على فقراء المهاجرين (4) و هذا لا يعني انّه صـلى الله عليه و آله و سـلم تخلّى عن أمواله وجعلها صدقة وحكم بعدم ارث ذويه من تركته كما استغلّ.

1- تاريخ المدينة لابن شبة 1: 199.

2- صحيح البخاري:8 149

3- شرح النهج لابن أبي الحديد 15 147

4- فتح القدير للشوكاني 5: 199.

المتغلّبون ذلك و صوّروه بصورة رواية لم يسمعها عنه صلى الله عليه و آله و سلم غيرهم.

و هذا هو الذي أرسلت أزواج النبي صلى الله عليه و آله و سلم عثمان لأبي بكر يسألنه ثُمنهنّ مما أفاء الله على رسوله، فردّتهنَّ عائشة محتجة بهذا الحديث (1)

فحديث لم تعلم به الزهراء عليه السلام العزيزة على أبيها، و كذلك الأزواج بما فيهنّ أم سلمة، وكذلك عليّ وغيره من بني هاشم والصحابة مع مخالفته لنص القرآن بالتوارث حتى بين الأنبياء عليهم، ثم علم به أبو بكر فقط - إذ الرواية تنحصر به - لا أدري من أين جاء؟! وكان الأحرى أن يخبرهم النبي صلى الله عليه و آله و سلم بأنّه لا يورث حتى لا يطلبوا باطلاً.

2 - فشحّت عليها نفوس قوم يشير الإمام عليه السلام بقوله هذا إلى انّ وراء هذا الظاهر المشاهد من انتساب حديث لم يروه أحد غير أبي بكر إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و التظاهر بالدفاع عن حقوق المستضعفين بانّ هذا المال حق لهم، يشير عليه السلام إلى انّ وراء كل هذا أمر آخر وهو انّ نفوساً طمعت في فدك وغيرها من تركة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لتبقى العترة الطاهرة محتاجة إلى السلطة من جهة، ومن جهة ثانية إطفاء الرصيد المالي لهم كي لا يستميلوا قلوب العشائر وغيرهم بالمال - بحسب زعمهم الدنيوي - وكي لا يتكرّر التاريخ مرّة ثانية، وتأتي أموال الزهراء عليها السلام لدعم موقف علي عليه السلام ونصرته على اعدائه ومناوئيه كما دعمت خديجة سلام الله عليها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بمالها. 4

1- فتح القدير للشوكاني 5 24

ويؤيّده ما رواه الطبراني في المعجم الاوسط عن عمر قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم جئت أنا وأبو بكر إلى علي فقلنا: ما تقول فيما ترك رسول الله صـلى الله عليه و آله و سلم؟ قال: نحن أحق الناس برسول الله وبما ترك، قال: فقلت: والذي بخيبر؟ قال: والذي بخيبر قلت والذي بفدك؟ قال: والذي بفدك، قلت: أما و الله حتى تحزّوا رقابنا بالمناشير فلا والعذرات (1).

و لذا لمّا أمن الخليفة الثاني من أمير المؤمنين عليه السلام، وعلم أنّه لا يشكل خطراً على السلطة بعد ردّ عليه تركة الرسول مما أفاء الله عليه وسـهمه من خيبر، وذلك بعـد سـنتين من حكومته، يدلّ عليه قوله مخاطباً لعلي والعباس: فقبضـتها سـنتين من امارتي أعمل فيها بما عمل رسول الله صـلى الله عليه و آله و سلم وما عمل فيها أبو بكر ... فلما بدا لي أن أدفعه إليكما على انّ عليكما عهد الله و ميثاقه، فتعملان فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و بما عمل فيها أبو بكر وبما عملت فيها منذ وليتها (2).

هذه الرواية الصحيحة عند القوم تعطينا مؤشرات جميلة تدلّ على ما نقصده، فلماذا أبو بكر لم يأخذ العهود على عليّ والزهراء عليها السلام أن يعملا فيها بما كان يعمل بها رسول الله صـلى الله عليه و آله و سلم رغم المطالبة من قبلهما واقامة الشهود والاستدلال بالآيات؟ ولماذا تنازل عمر و أعطاها لعلي عليه السلام والعباس. ولا أدري هل الأمر مجرد أهواء و آراء شخصية، 1

1- المعجم الأوسط للطبراني،5: 288 مجمع الزوائد للهيثمي 9: 40.

2- صحيح البخاري 4: 81

فتارة يبدو لهم فيحجبوا وتارة يبدو لهم فيمنحوا، أم هناك نصوص مزعومة اعتمدوا عليها؟!

ومع هذا فرواية صحيح مسلم المتضمنة لنفس الحدث - وهو مخاصمة علي و العباس عند عمر - تضيف عليه تصريح عمر بانّ علياً و العباس وسائر بني هاشم - لانّهما سادة بني هاشم و يمثلان رأي الجميع، لانّ بني هاشم لم تبايع الّا بعد مبايعة علي عليه السلام - كانا يعتقدان بعدم شرعية هذا العمل وأنّه ظلم واثم وخيانة، بل يعتقدان كذب المدعي في دعواه فقد قال عمر: فقال أبو بكر: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ما نورث ما تركنا صدقة فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، و الله يعلم انّه لصادق بار راشد تابع للحق، ثم توفي أبو بكر و أنا ولي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ولي أبو بكر، فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم انّي لصادق بار راشد تابع للحق (1).

نحن نأخذ من هذا النص الصحيح عند القوم، اعتراف عمر بن الخطاب باعتقاد علي عليه السلام و عدم شرعية ما فعلاه، و ندع دعواه لنفسه ولأبي بكر بالصدق والرشاد، ونلتزم بما رووه عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم» (2) فنحن نقتدي بعلي، وليقتد غيرنا بمن يجب. .

1- صحيح مسلم 5: 152.

2- الشفا للقاضي عياض 2 53، تفسير الرازي:2 5 الكشاف للزمخشري 2: 424، تحفة الاحوذي للمباركفوري 10: 155.

3 – وسخت عنها نفوس آخرين و نعم الحكم الله لما رأى أمير المؤمنين و الزهراء عليها السلام شدّة المؤامرة، تركا الأمر إذ لا حيلة سوى الشكوى إلى الله تعالى، و تبيين الحق مهما أمكن كي لا تخفى الحقيقة، وهذا ما اعترف به عمر نفسه كما ورد في صحاح القوم.

أما لماذا لم يسترجع أمير المؤمنين عليه السلام فدك لمّا آلت إليه الخلافة فأولاً أنه عليه السلام أصبح خليفة و بيده بيت المال فلاحاجة له بها ولا تسدّ شيئاً من نفقات الحكومة إذ لو كانت بيده لأوقفها للمسلمين كما أوقف سائر ضياعه و ممتلكاته، ولم يدخر لنفسه شيئاً، كما كان يحلف ويقول عليه السلام: فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً ولا حزت من أرضها شبراً ... بلى كانت في أيدينا فدك ... وما أصنع بفدك وغير فدك و النفس مظانّها في غد جدث تنقطع في ظلمته آثارها، وتغيب أخبارها ... (1)

و ثانياً: جرى المسلمون على أنّها صدقة، وانّ الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لا يورث، وكان من أهمّ أسباب نقمة المسلمين على عثمان أنّه أقطع فدك لمروان قال ابن قتيبة في المعارف وكان مما نقموا على عثمان أنّه ... أقطع مروان فدك وهي صدقة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم (2)

فكيف يرجعها أمير المؤمنين عليه السلام لنفسه ولأولاد فاطمة، والأعداء يتربصون به الدوائر وهو عليه السلام لم يتمكن من تصحيح البدع المحدثة آنذاك .

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 45.

2- المعارف: 195، وانظر تاريخ أبي الفداء 1: 168، والعقد الفريد 4: 283.

من صـلاة التراويح والمنع عن المتعتين والتكتّف في الصلاة وغيرها، فكيف بهذه وهي حالة شخصية يكون الانسان في مظنّة التهمة، هذا ما لا يعمله المحنّك في السـياسة، إذ كان هـدف أمير المؤمنين عليه السـلام الوحيد آنذاك تعبئة الأمة أمام الفتن الداخلية، فلذا ترى انّ جيشـه كان يضـمّ الخوارج، وقتلة عثمان والناقمين على القتلة، وضعفاء الإيمان، وغيرهم من شرائح الناس.

فقد ورد في نهج البلاغة انّ قوماً من الصحابة قالوا لأمير المؤمنين عليه السلام: لو عاقبت قوماً ممّن أجلب على عثمان فأجابهم عليه السلام بجواب مقنع، فمما قاله «و هل ترون موضـعاً لقدرة على شيء تريدونه ... فاهدأوا عنّي وانظروا ماذا يأتيكم به أمري ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة وتسقط مُنّة، وتورث وهناً وذلة» (1).

ويقول عليه السـلام في نص آخر «قد عملت الولاة قبلي أعمالاً خالفوا فيها رسول الله صـلى الله عليه و آله و سلم متعمّدين خلافه، ناقضين لعهـده، مغيّرين لسـنته، ولو حملت الناس على تركها و حوّلتها إلى مواضـعها، و إلى ما كانت في عهد رسول الله لتفرّقت عنّي جندي حتى أبقى وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض امامتي من كتاب الله عزوجل وسنّة نبيه صلى الله عليه و آله و سلم» (2)

وثالثاً: قال الشيخ الطوسي @ في كتابه الاقتصاد: «وفي أصحابنا .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 168.

2- الكافي: 58، البحار 34: 172.

من قال: انّ الخصم في فدك كانت فاطمة عليها السلام، و أوصلت إلى على عليه السلام بأن لا يتكلّم فيها، لتكون هي المخاصمة يوم القيامة لما جرى بينها وبين من دفعها من الكلام المعروف، حتى قالت له سيجمعني وإياك يوم يكون فيه فصل الخطاب (1).

ورابعاً: ما قاله الإمام الكاظم عليه السلام عن سبب ذلك: «لانّا أهل بيت لا نأخذ حقوقنا ممّن ظلمنا إلّا هو - يعني الله عز وجل - ونحن أولياء المؤمنين، انّما نحكم لهم ونأخذ حقوقهم ممّن ظلمهم، ولا نأخذ لأنفسنا» (2).

ويدلّ عليه قول أمير المؤمنين الآنف الذكر حيث قال بعد ذكر طمع القوم في فدك: ونعم الحكم الله أي انّ الله تعالى هو الذي سيحكم فيها غداً.

4 - مساعدة السلطة:

كتب معاوية إلى أمير المؤمنين عليه السلام كتاباً يستنقصه، وممّا ذكره أمر بيعته لأبي بكر، فأجابه عليه السلام قائلاً: «وقلت انّي كنت أُقاد كما يُقاد الجمل المخشوش حتى ابايع، و لعمر الله لقد أردت أن تذمّ فمدحت وأن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكّاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه، وهذه حجتي إلى غيرك

1- الاقتصاد: 214

2- علل الشرائع للصدوق: 1: 155، والبحار 29 396

قصدها، ولكنّي أطلقت لك منها بقدر ما سنح من ذكرها» (1).

وقال عليه السلام: فنظرت فإذا ليس لي معين ألّا أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى و شربت على الشجي، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمرّ من طعم العلقم) (2)

تدلّ هذه النصوص على عدّة أمور:

1 – انّ أمير المؤمنين عليه السلام امتنع عن البيعة رغم ما لاقى من الأذى، وهو في مقامه ومكانته من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و لا أدري لماذا هذه القسوة معه؟! لم لا يُترك كما تُرك سعد بن عبادة حينما امتنع عن البيعة؟ نعم كل ما جرى من ظلم وضغط وكبت على أمير المؤمنين عليه السلام، وعلى بيته الشريف و زوجته الطاهرة، انّما كان لأجل أخذ البيعة منه قسراً حتى يقولوا للناس انّ علياً بايع وتنازل عن حقه المخصوص به بنص الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، وعلى أخذ الحجية والشرعية من مبايعته، وتمويه مسألة النص، وافراغ حديث الغدير وغيره من النصوص من محتواها الحقيقي في النص على عليّ عليه السلام.

و حديث عدم المبايعة ثابت في صحاح القوم، فقد ورد في صحيح البخاري وصحيح مسلم ان علياً عليه السلام لم يبايع إلى أن توفيت الزهراء عليها السلام.(3) 4.

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 62.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم 6

3- صحيح البخاري 5 83، صحيح مسلم 5: 154.

2 – انّه عليه السلام واجه محاربة سياسية من قبل السلطة أدّت إلى تفرّق الناس من حوله، فلم يبق معه إلّا أهل بيته، حتى انّه عليه السلام استنكر وجوه الناس بعدما توفيت فاطمة الزهراء عليها السلام كما في البخاري ومسلم (1) ومعنى هذا انّ المسلمين تركوا مجالسته ومصاحبته وزيارته والسلام عليه سبحان الله!! أكلّ هذا لعليّ عليه السلام وهو هو، فأين حديث الغدير الثابت المتواتر؟ أليس زعموا انّه لا يدل على النص بل يدل على المحبة والنصرة؟ فأين هذه المحبة والنصرة؟.

وكان في ضمن مسلسل الانقلاب السياسي بث الدعاية ضدّ البيت العلوي، وكشاهد لذلك لمّا جاءه أبو سفيان و العباس ليبايعاه بالخلافة، أشار عليه السلام إلى الفتن المحدقة، وانّ الوقت لا يسمح بذلك، ثم قال: «فان أقل يقولوا حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت» (2) فجعلوه عليه السلام بين سندان الحرص ومطرقة الجزع، حيث لا ينفع سوى الصبر والورع.

3 – انّه عليه السلام بعدما رأى تهديد كيان الإسلام والخطر الحقيقي على بيضة الإسلام، انبرى للدفاع وساعد القوم بكل ما عنده، إذ هو القائل: ووالله لا سلمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليّ

خاصة (3) 73

1- صحيح البخاري 5: 83، صحيح مسلم 5: 154.

2- نهج البلاغة الخطبة رقم: 5.

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 73

3 – علي عليه السلام والإمامة

انّ الأساس الذي نعتمد عليه في فهمنا للكون والخلقة والرسالة،والإمامة، يعتمد على انّ الله تعالى خلق الإنسان وجعله خليفة في الأرض، ولهـذا الإنسان حوائـج معنوية ومادية معاً، وباشـباعهما يصل الإنسان إلى أعلى المراتب ويتحقق هدف الخلقة. ومن أهمّ هذه الحوائج نيل السـعادة في الـدارين، ولا يخفى انّ الوصول إلى هذه السـعادة صـعب المنال، ويحتاج إلى برنامج واسع وشامل لجميع أبعاد الإنسان سواء المعنوية أم المادية، وسواء عرفها الإنسان وانتبه إليها أم لا.

ومن البديهي أن لا يتمكن أيّ شخص رسم هكذا برنامج شامل لنفسه أو لغيره، لأنّه فرع معرفته بجميع أبعاد وجود الإنسان وحوائجه، وما لم تشبع هذه الحوائج ولم تتحقق بصورة صحيحة لن يصل الإنسان إلى السعادة.

نعتقـد انّ الـدين والشـرع الإلهي هو القادر على رسم هـذا البرنامـج الشامل، وهو المتكفّل لإيصال الإنسان إلى السـعادة الكاملة في الدنيا والآخرة، وهذا ما تحمّل أعباءه الأنبياء والرسل عليهم السلام.

ونعتقد أيضاً انّ الإمامة امتداد للنبوة، إذ انّ الشريعة الخاتمة بعد

رحيل خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله و سلم بحاجة إلى من يحافظ عليها ويدافع عنها، ويتكفل نشرها و التبليغ لها إلى قيام الساعة إذ لا نبوّة ولا شريعة بعد، وهذا ما أكّد عليه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في الحين بعد الحين وفي مرّات عديدة،

وقال فيما قال: «انّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في مواطن كثيرة، فقد قال عليه السلام: انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى فان لبدو فالبدو، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا» (1).

وقال لنا أيضاً: «ألا انّ مثل آل محمد كمثل نجوم السماء، إذا خوى نجم طلع نجم (2).

وقال عليه السلام: «نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم وينابيع الحكم، ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة، وعدوّنا و مبغضنا ينتظر السطوة (3).

وقال عليه السلام: «نحن النمرقة الوسطى، بنا يلحق التالى وإليها يرجع الغالي»(4). .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم 96

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 99.

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 108

4- المصدر نفسه، قصار الحكم 104.

هذا الأمر لم يكن مفهوماً للعرب و الصحابة حينذاك، بل كثير منهم فهم النبوة على أنّها ملك وامارة فضلاً عن الإمامة، وهذا ما ظهر على لسان أبي سفيان حيث قال للعباس بعدما فتح رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مكة: «لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً» فرد عليه العباس قائلاً: «انّها النبوة وليس الملك يا أبا سفيان» (1).

ويؤيّده قول الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لبني عامر بن صعصعة لما عرض عليهم الدعوة، وطلبوا منه أن يكون الأمر لهم من بعده إن ساعدوه ونجحت الدعوة، فقال صلى الله عليه و آله و سلم: «الأمر لله يضعه حيث يشاء» (2)

هذا الفهم الخاطئ زائداً المؤامرات التي حيكت آنذاك، هو الذي حال دون فهم مسألة النص بالشكل الصحيح الذي كان يريده رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، وحتى حاول ترسيخ ذلك قبيل رحيله ولكن جوبه بقساوة

عليه وفظاظة، ونُسب إلى الهجر وغلبة الوجع والعياذ بالله.

انّ مسألة النص على الإمامة لم تكن بالهويني حتى يتخلّى عنها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، وقد قال الله تعالى له: (يِيَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (3)، و هذا ما بلّغه و أشار إليه في عشرات الموارد، آخرها حديث الغدير المتواتر الثابت. .

1- السيرة لابن هشام 34:4

2- البداية والنهاية لابن كثير 3 171.

3- المائدة: 67.

إذن كيف يكون موقف أمير المؤمنين عليه السلام حيال النص عليه بالإمامة؟! فهو من جهة حوصر مالياً فأخذت منه فدك و منع من إرث الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، وتركته، ومن جهة ثانية حورب ببثّ الدعايات ضدّه حتى انّه استنكر وجوه الناس (1)، وقال عليه السلام: فنظرت فإذا ليس لي معين إلّا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت وأغضيت على القذى، وشربت على الشجي، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمرَ من طعم العلقم (2) حيث يدل النص على أنّهم كانوا على مظنة القتل.

ويقول في مكان آخر، ويصوّر الإعلام المسموم ضده آنذاك: فإن أقل يقولوا حرص على الملك، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت» (3).

و مع ذلك فانّه عليه السلام لم يسكت عن الطلب بالإمامة - كما سنذكر - ولكن لكل مقام مقال، ولكل زمان وَضْعه الخاص، فربما الاصرار على شيء وإن كان حقاً أعطى عكس النتيجة إذ انَ المشروع الإلهي جاء للنجاح لا للفشل وجاء للحياة لا للموت، كما نرى في سيرة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم انّه تدرّج في دعوته واغتنم الفرص، فحارب تارة وهادن أخرى، وقتل تارة وعفى في أخرى بحسب المصلحة.

و كذلك أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن ساكتاً عن الطلب بحقه، فتارة 5

1- حيح البخاري 5: 83، صحيح مسلم 5: 154.

2- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 26.

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم 5

كان يظهر أحقيّته ويقول عليه السلام: «فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقّي مستأثراً عليّ منذ قبض الله تعالى نبيه صلى الله عليه و آله و سلم حتى يوم الناس هذا (1)، وقال عليه السلام في جواب من اتهمه بالحرص على الملك: «انما طلبت حقاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه ... اللهم أنّي أستعديك على قريش ومن أعانهم فانّهم قطعوا رحمي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي ...»(2)، و قال عليه السلام: «لقد علمتم أنّي أحق بها من غيري ...» (3).

وقال عليه السلام وهو يذكر قريشاً: «وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري (4)، وقال عليه السلام: «فلما مضى صلى الله عليه و آله و سلم تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي، ولا يخطر ببالي انّ العرب تزعج هذا الأم الأمر من بعده عن أهل بيته ولا أنّهم منحّوه عنّي من بعده (5)، وقال عليه السلام: لنا حق فان اعطيناه و إلّا ركبنا أعجاز الابل و إن طال السرى (6).

و قال عليه السلام – على ما ورد في صحاح القوم – : «كنا نرى لنا في هذا .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 6

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 172.

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 73.

4- المصدر نفسه الخطبة رقم: 172.

5- المصدر نفسه الكتاب رقم 61.

6- المصدر نفسه، قصار الحكم: 18.

الأمر نصيباً فاستبد علينا فوجدنا في أنفسنا (1)، قاله عليه السلام قبل أن يبايع ممّا يدلّل على تضجّره ممّا حدث، طبعاً هذا ما وصل الينا عنهم القوم، بعد تمحيصه وغربلته واضافة ما يروقهم على أصل الحدث من قبيل قوله عليه السلام لأبي بكر – في نفس الرواية – : «انّا عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله اليك» و هذا لم يصدر عن أمير المؤمنين عليه السلام قطعاً، وإلّا لو كان يعتقد انّ الله تعالى هو الذي أعطاه هذا المنصب، فلماذا تأخّر عن البيعة ستة أشهر، ولماذا استعمل كلمة: «الاستبداد بالأمر» ولماذا وجد في نفسه من ذلك؟!

وتارة أخرى كان عليه السلام يصرّح بمسألة الوصاية والوراثة والوزارة فيقول: لا يقاس بآل محمد من هذه الأمة أحد هم أساس الدين وعماد اليقين ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة» (2).

وقال عليه السلام: «فياعجباً وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتصّون أثر نبيّ، ولا يقتدون بعمل وصي (3)، وقال عليه السلام: «انّ الأئمة من قريش غُرسوا في هذا البطن من،هاشم لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم (4)
44

1- صحيح البخاري 5: 83، صحيح مسلم 5: 155.

2- نهج البلاغة الخطبة رقم: 2.

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 87

4- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 144

وقال عليه السلام عن لسان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في قضية بدء نزول الوحي: انّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلّا انّك لست بنيّ ولكنّك وزير» (1)، وقال عليه السلام في الخطبة الشقشقية: «أرى تراثي نهباً» (2).

وأخرى يقول عليه السلام: فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال وتجوالهم في الشقاق ... فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن امّي (3).

ورابعة يظهر انّه ظُلم في هذا الأمر، ويقول لمعاوية لما عيّره بانّه كان يجرّ كالجمل المخشوش لأخذ البيعة: وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً بيقينه» (4).

وخامسة يعرّض بانحراف الناس آنذاك ويقول وهو خليفة المسلمين و قد كانت أمور مضت ملتم فيها ميلة، كنتم فيها عندي غير محمودين» (5).

وسادسة يحتج عليه السلام بقربه من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ويقول لما سئل: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحق به؟ فقال عليه السلام: «أما الاستبداد علينا بهذا المقام ونحن الأعلون نسباً، والأشدّون بالرسول .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 192.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 3.

3- المصدر نفسه الكتاب رقم 36.

4- المصدر نفسه، الكتاب رقم: 28

5- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 178.

نوطاً، فانّها كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين (1)، وقال عليه السلام: ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وانّ رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه في كفّي فأمررتها على وجهي، ولقد ولّيت غسله و الملائكة،أعواني فضجّت الدار و الأفنية ملأ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هينمة منهم يصلّون عليه حتى و ارياه في ضريحه، فمن ذا أحق به مني حياً وميتاً (2)، ويقول: ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فلجوا عليهم، فان يكن الفلج به فالحق لنا دونكم وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم (3)

وسابعة يذكر الانقلاب السياسي الذي حدث عقيب رحلة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و يقول: «حتى إذا قبض الله رسوله صلى الله عليه و آله و سلم رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل واتكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرحم، و هجروا السبب الذي امروا بمودته ونقلوا البناء عن رصّ أساسه فبنوه في غير موضعه» (4).

و أخيراً يعلّق عليه السلام على مؤتمر السقيفة و يقول: «أما و الله لقد تقمّصها فلان وانّه ليعلم انّ محلّي منها محلّ القطب من الرحا، ينحدر

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 162.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 197

3- المصدر نفسه الكتاب رقم 28.

4- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 150

عنّي السـيل ولا يرقى اليّ الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، و طفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشـيب فيها الصـغير، ويكـدح فيها مؤمن حتى يلقى ربّه، فرأيت ان الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى، أرى تراثي نهباً ...»(1).

وقال عليه السـلام لما انتهت إليه أخبار السقيفة: ما قالت الأنصار؟ قالوا:قالت: منّا أمير ومنكم أمير، قال عليه السلام: فهلا احتججتم عليهم بان رسول الله صـلى الله عليه و آله و سلم وصى بأن يُحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم؟ قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟ فقال عليه السلام: «لو كانت الامارة فيهم لم تكن الوصية بهم ثم قال فماذا قالت قريش؟ قالوا: احتجت بانّها شجرة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، فقال عليه السلام: احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة (2)

وقال عليه السلام: «واعجباه أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة وروي له شعر في هذا المعنى وهو:

فان كنت بالشورى ملكت أمورهم *** فكيف بهذا والمشيرون غيّب

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم *** فغيرك أولى بالنبي وأقرب (3) .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 3.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 66

3- المصدر نفسه، قصار الحكم: 180.

فهـذه أساليب مطالبة الإمام عليه السـلام بحقه، وإظهار تضـجّره عمّا مضـى والتصـريح أو التعريض بمسألة الإمامة، وقد أدلى بها بحسـب الظروف وما تفرضه المصلحة.

ومجرد هـذه المطالبـة – مع زهـده الشديـد في الـدنيا وما يتعلق بها، وعـدم رغبته فيها كما سـيأتي بيانه – لخير دليل على وجود نص والزام بالنسـبة له من قبـل النبي صـلى الله عليه و آله و سـلم وإلّا لألقى حبلها على غاربها، ولسـقى آخرها بكأس أوّلها، فهو عليه السـلام طالب بالحق تارة بعمله و سـلوكه حينما تأخّر عن البيعة لستة أشهر – كما في الصحاح – وتارة أخرى بكلامه كما مضى، ولو وجد ذوي عزم لكان له مع القوم شأن آخر.

فسـلوك أمير المؤمنين عليه السـلام حجة لنا، إذ انّه ميزان الحق، وإمام مفترض الطاعة ومعصوم عندنا، وأما عند أهل السـنة فهو رابع الخلفاء الراشدين الذين يجب الاهتداء بهديهم وسـنتهم، وهو من الصـحابة الذين قال فيهم الرسول صـلى الله عليه و آله و سـلم أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم وهو الذي مودته إيمان وبغضه نفاق (1)، وهو المتوسّم بوسام: من كنت مولاه فعلي مولاه وهو من العترة الـذين أمرنا بالتمسك بهم كي لا نضلّ، وهو وهو ... إذاً تصـريحه بالنص حجة كما سـكوته لظروف تحيط به حجة أيضاً، ولا يدلّ سـكوته عن النص في فترة على عدم وجوده. .

1- صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب 33 ح 131.

وهو عليه السلام يشير إلى هذا الأمر بطرف خفيّ في جواب العباس وأبي سفيان لما جاءا ليبايعاه بعد رحيل نبي الأمة صلى الله عليه و آله و سلم، فقـال لهما: «ماء آجن، ولقمـة يغصّ بها آكلها ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير أرضه» (1) و قال عليه السلام في مكان آخر: انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سـمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم في ردى، فان لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا» (2). .

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 5.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم 96.

4 - علي العلم والخلفاء

1 - أبو بكر:

عاش أمير المؤمنين عليه السلام منذ رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم في ظروف قاسية ومحنة شديدة، فمن جهة كان عليه الاجهار بالنص والمطالبة بالحق، ومن جهة ثانية رأى انّ راجعة الناس قد رجعت وانّ النص ترك، وانّ وصايا الرسول بالعترة والآل نبذت: فدك تؤخذ بيت الرسالة يهدّد عليّ يقاد للبيعة و ...، ومن جهة ثالثة يرى نشاط المنافقين لمحق الدين، زائداً تربص الكفار من خارج القطر الإسلامي، هذه المناظر كلها بمرأى و مسمع أمير المؤمنين عليه السلام، وهنا لابدّ من اتخاذ القرار الصحيح.

وكان من جملة ما اتخذه عليه السلام المقاطعة ورفض البيعة والمشاركة أوّلاً، يدلّ عليه جواب أمير المؤمنين لمعاوية لمّا عيّره بعدم المبايعة: وقلت: انّي كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى ابايع، ولعمر الله لقد أردت أن تذم فمدحت، وأن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ...» (1).

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 28.

وقال عليه السلام: فما راعني الّا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي ...). (1)

و هـذه المقاطعة أدّت إلى تخلّف الناس عنه حتى بقي عليه السـلام وحده، كما قال: فنظرت فإذا ليس لي معين إلّا أهل بيتي، فضـننت بهم عن الموت، وأغضـيت على القـذى، وشـربت على الشـجا، وصـبرت على أخـذ الكظم، وعلى أمرّ من طعم العلقم» (2)، ويقول أيضـاً في الخطبـة الشقشـقية: فسـدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشـحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيـد جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير، ويشـيب فيها الصغير، ويكدح فيها المؤمن حتى يلقى ربه، فرأيت انّ الصبر على هاتا أحجي، فصبرت و في العين قذى، وفي الحلق شجا» (3).

هـذه المقاطعـة من علي و البيت الهاشـمي وهم ساسـة العباد، زائداً عدم قدرة القوم على ضـبط الأمور بحنكة و كفاءة، أدّت إلى اسـتغلال الوضع من قبل الكفار من خارج القطر الإسـلامي، والمنافقين من داخله، فهنا نهض أمير المؤمنين عليه السلام للحفاظ على بيضة الإسلام كما قال عليه السلام: حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون .

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 62.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم 26

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم 3.

إلى محق دين محمد صلى الله عليه و آله و سلم، فخشيت إن لم أنصر الإسلام و أهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولايتكم التي انّما هي متاع أيّام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب، أو كما يتقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأنّ الدين وتنهنه» (1).

وذلك لانّه عليه السلام كان أحرص على حفظ الإسلام وحفظ المسلمين من التمزق من غيره، كما كتب عليه السلام لأبي موسى موسى الأشعري: «وليس رجل – فاعلم - أحرص على جماعة امة محمد صلى الله عليه و آله و سلم وألُفتها منّي، أبتغي بذلك حسن الثواب و كرم المآب وسأفي بالذي وأيت على نفسي (2).

2 – عمر بن الخطاب:

كانت فترة خلافة أبي بكر قصيرة وقد عهد إلى عمر رغم اعتراض بعض الصحابة، فكان الأمر على أمير المؤمنين عليه السلام أشد وأصعب، وهو يصف تلك البرهة بقوله: فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلْمها، ويخشن مسّ ها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحّم، فمُني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلوّن واعتراض، فصبرت على طول المدة، وشدّة

1- نهج البلاغة الكتاب رقم 62.

2- المصدر نفسه الكتاب رقم: 78

المحنة» (1).

هذه الأوصاف يصدّقها التاريخ، أما بالنسبة إلى غلظة عمر وفضاضته، فقبل إسلامه ما صدر منه من إيذاء المسلمين حتى يتركوا دينهم، كما فعل باخته وختنه حيث أدمى رأسه لإسلامه (2)، وكما ضرب جارية حتى ملّ من ضربها (3).

وقالت أم عبد الله بنت أبي حثمة في حقه: كنّا نلقى منه البلاء أذى وشدة علينا، حتى أنّها وزوجها كانا قد أيسا من إسلامه لقسوته وغلظته على أهل الإسلام (4)

أما بعد اسلامه وفي زمن النبي صلى الله عليه و آله و سلم ما حدث منه في صلح الحديبية من المحاولة لنقض مصالحة النبي صلى الله عليه و آله و سلم حيث صرّح هو وقال: «فعملت في ذلك أعمالاً - يعني في نقض الصحيفة - »(5) وما صدر من ضرب أبي هريرة حتى خرّ لاسته (6)، وما صدر من شنيع قوله عند مرض النبي صلى الله عليه و آله و سلم واتهامه بغلبة الوجع والهجر - والعياذ .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 3.

2- أُسد الغابة 5: 519

3- السيرة لابن هشام 1: 211

4- المصدر نفسه 1: 229، الكامل في التاريخ 2: 84

5- ابن حبان 11 224

6- صحيح مسلم 1: 44.

بالله – (1)

أما بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فما صدر منه من التهديد لمن قال بموته صلى الله عليه و آله و سلم، وقد قال ابن أبي الحديد: وعمر هو الذي شيّد بيعة أبي بكر و رقم المخالفين فيها، فكسر سيف الزبير لما جرّده، ودفع في صدر المقداد، ووطئ في السقيفة سعد بن عبادة، وقال: اقتلوا سعداً قتل الله سعداً، وحطّم أنف الحباب بن المنذر الذي قال يوم السقيفة: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجّب، وتوعّد من لجأ إلى دار فاطمة عليها السلام من الهاشميين وأخرجهم منها (2) وقال أيضاً: وأول من ضرب عمر بالدرة امّ فروة بنت أبي قحافة، مات أبو بكر فناح النساء عليه وفيهنّ أم فروة، فنهاهنّ عمر مراراً وهنّ يعاودن، فأخرج أُم فروة من بينهنّ وعلاها بالدرّة، فهربن و تفرّقن (3) حتى كان يقال: درّة عمر أهيب من سيف .

1- ربما يقال: انّ الذي ذكره عمر لم يكن فيه نسبة الهجر إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم، والثابت في الصحاح غيره، كما ورد في الصحاح من استعمال كلمة «قالوا» [راجع البخاري 4: 66، ومسلم 5: 75، 76] ولكن أقول: هذا دفاع عليل إذ أولاً مفاد الجملتين واحد و ثانياً يكفينا تصحيح ابن تيمية لاتهام عمر النبي صلى الله عليه و آله و سلم بالهجر، فقد قال في مقام الدفاع عنه و لهذا قال ما له أهجر [منهاج السنة 6: 24] وقال في مكان آخر: «فلما كان يوم الخميس همّ أن يكتب كتاباً، فقال عمر: ماله أهجر» [المصدر نفسه 6: 315].

2- شرح النهج لابن أبي الحديد 1: 174.

3- المصدر نفسه 1: 181.

الحجاج (1).

وقال الأوزاعي: بلغني انّ عمر سمع صوت بكاء في بيت، فدخل معه غيره فأمال عليهم ضرباً حتى بلغ النائحة، فضربها حتى سقط خمارها، فعدل الرجل فقال: اضـرب فانّها نائحة ولا حرمة لها ...» (2) ورأى عمر ناساً يتبعون أُبيّ بن كعب، فرفع عليه الـدرة فقال: يا أمير المؤمنين اتق الله قال: فما هذه الجموع خلفك يابن كعب، أما علمت انّها فتنة للمتبوع، مذلّة للتابع (3).

هذا بالنسـبة إلى غلظته أما بالنسبة إلى سائر الأمور، فقد قال ابن أبي الحديد: «وكان عمر يفتي كثيراً بالحكم ثم ينقضه ويفتي بضده وخلافه، قضى في الجد مع الاخوة قضايا كثيرة مختلفة» (4).

وقال أيضاً: «روى مالك عن نافع عن ابن عمر: انّ عمر تعلّم سورة البقرة في اثنتي عشـر سـنة، فلما ختمها نحر جزوراً» (5) وهكذا قوله: كل النـاس أفقه من عمر حتى ربـات الحجال و قوله: لولا علي لهلك عمر في مسائل كثيرة أخطأ فيها أو احتار في حلّها فالتجأ إلى أمير المؤمنين عليه السلام .

1- شرح النهج لابن أبي الحديد 1: 181.

2- تاريخ المدينة لابن شبة:3 799، وشرح النهج لابن أبي الحديد:12: 68

3- شرح النهج لابن أبي الحديد 12: 68.

4- المصدر نفسه 1: 181.

5- المصدر نفسه 12: 66.

ومن تلك المسائل ما جاء في نهـج البلاغـة من أنّه ذكر عنـد عمر بن الخطاب في أيامه حلي الكعبـة وكثرته، فقال قوم: لو أخـذته فجهّزت به جيوش المسـلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبة بالحلي، فهمّ عمر بذلك وسأل عنه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «انّ القرآن أُنزل على النبي صـلى الله عليه و آله و سـلم و الأموال أربعة: أموال المسـلمين فقسّـمها بين الورثة في الفرائض، والفيء فقسّـمه على مسـتحقيه، والخمس فوضـعه الله حيث وضـعه، والصـدقات فجعلها الله حيث جعلها، وكان حلي الكعبـة فيها يومئـذ، فتركه الله على حاله، ولم يتركه نسياناً ولم يخف عليه مكاناً، فأقره حيث أقره الله و رسوله فقال له عمر: لولاك لافتضحنا، وترك بحاله (1)

و أشار عليه السـلام على عمر بعدم الخروج إلى حرب الروم، لعلمه عليه السـلام بسابقة الرجل في الحروب في عهد النبي صلى الله عليه و آله و سلم، لذا قال له: «انّك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك فتلقهم بشخصك فتنكب لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم (2)

وفي حادثـة ثانية عندما تجهز الفرس لحرب المسـلمين و كانوا كثيرين نهى أيضاً أمير المؤمنين عليه السـلام عمر عن الخروج و قال له: «إنّ هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلّة وهو دين الله الّذي أظهره .

1- نهج البلاغة، قصار الحكم: 261.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 134.

وجنده الذي أعدّه وأمدّه، حتى بلغ ما بلغ، وطلع حيث طلع، ونحن على موعودٍ من الله والله منجزٌ وعده، وناصرٌ جنده.

ومكان القيّم بالأمر مكان النّظام من الخرز يجمعه ويضـمّه، فإن انقطع النّظام تفرّق،وذهب، ثمّ لم يجتمع بحـذافيره أبداً، والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً، فهم كثيرون،بالإسـلام، عزيزون بالاجتماع! فكن قطباً، و استدر الرّحا بالعرب وأصلهم دونك نار الحرب، فإنّك إن شخصت من هـذه الأـرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها حتّى يكون ما تـدع وراءك من العورات أهمّ إليك ممّا بين يـديك. إنّ الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشدّ لكلبهم عليك، وطمعهم فيك.

فأمّا ما ذكرت من مسـير القوم إلى قتال المسـلمين، فإنّ الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره. وأمّا ما ذكرت من عددهم فإنّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنّما كنّا نقاتل بالنّصر والمعونة!» (1).

وهذا النص الشريف يفيد عدّة أمور:

1- إدلاء النصـيحة من قبل أمير المؤمنين عليه السـلام كانت للحفاظ على بيضة الإسـلام، ولا تدلّ على صـلات وديّة كما انّه عليه السلام ساعد عثمان كثيراً، مع ما كان بينهما من تباعد بيّن. .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 146.

2 – يظهر من روايـة الشـيخ المفيد @ للحدث في كتاب الإرشاد (1) ان عمر لما سـمع اسـتعداد الفرس للهجوم على المسلمين فزع فزعاً شديداً واحتار في أمره فاسـتشار الصحابة فأشار عليه أمير المؤمنين عليه السلام بالبقاء وعدم الخروج، فطمأنه وصبّره وأذهب روعته، وذكر له بانّ هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلّة، وانّ الله تعالى أقدر على تغيير ما يريد.

3 – كان هناك خطر آخر يحيط بالاسـلام، وهو الأعـداء و المنافقون من داخل القطر الإسـلامي، فلـذا قال له: فانّك إن شـخصت من هـذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى تكون ما تدع وراءك من العورات أهمّ إليك ممّا بين يديك.

4 – أمـا الأوصـاف التي وردت في كلاـمه عليه السـلام من قبيل: ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز ... هي أوصاف عامـة للحاكم الذي يدير أمور البلاد براً كان أو فاجراً ولا تدل على مدح أو ذمّ أو أيّ شيء آخر، وهي كما قال عليه السلام: «لابدّ للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في امرته المؤمن، ويسـتمتع فيها الكافر ...» (2). فهذه وتلك أوصاف للدور السياسـي والاجتماعي الذي يقوم به الحاكم أياً من كان، كما ذكر هو عليه السلام عن نفسه لما طلب منه المسلمون الخروج للقتال في زمن 0.

1– الإرشاد 1: 209

2– نهج البلاغة الخطبة رقم: 40.

خلافته: «انّما أنا قطب الرحا تـدور عليّ وأنا بمكاني فإذا فارقته اسـتحار مـدارها واضـطرب ثفالها (1) فـالمراد بقوله: «أنا قطب الرحا» الأنا العرفي أي الحاكم أياً من كان سواء أكانت له أهلية الحكم أم لم تكن.

أما ما ذكره أمير المؤمنين عليه السـلام من ابتلاء الناس في زمن عمر بن الخطاب بخبط وشـماس وتلون واعتراض فهو أمر صحيح، حتى انّ الناس تعبوا في اخريات خلافته وبـدأوا بالتفكر في البـديل، ولما وصـلت أخبار هؤلاء الجماعـة إلى عمر – وهو في موسم الحج – غضـب غضـباً شديـداً بحيث أراد أن يخطب الناس في نفس المكان ويحذّرهم ويتوعدهم، فقد جاء في صـحيح البخاري انّ عبد الرحمن قال لعمر وهو في الموسم آخر حجة حجها: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلّا فلتة فتمت فغضب عمر ثم قال: انّي إن شاء الله لقائم العشـية في الناس فمحذّرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم ... فلا يغترنّ امرؤ أن يقول انّما كانت بيعة أبي بكر فلتة و تمت ألا وأنّها قد كانت كذلك و لكن وقى الله شرها ... من بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرّه أن يقتلا (2). 5

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 118

2- صحيح البخاري 8 25

فانّ هـذا النص فيه مـداليل كثيرة تصوّر لنا حالـة الناس آنـذاك، منها وجود معارضة – عدا البيت الهاشـمي – ومنها انّ لهؤلاء عمل وتنظيم ووسائل اعلام بحيث أزعجت الخليفـة، وأراد أن يتكلّم في نفس الموسم لولا انّ عبد الرحمن نهاه عن ذلك، فأجّل خطبته إلى المدينة وذكر فيها أخبار السـقيفة وما حصل ممّا يدلّل على تشابه الموقف من حيث الفوضـى، والّا فأيّ فائدة في ذكر أخبار مضت عليها أعوام، ومنها بدء تفكر الخليفة بمسألة الشورى إلى غيرها من المداليل.

و أخيراً يبقى الجـدال قائمـاً حول مـا نسب إلى أمير المؤمنين عليه السـلام من قوله في نهـج البلاغـة: لله بلاد فلان فلقـد قوّم الأود، وداوى العمد، وأقام السنة، وخلّف الفتنة، ذهب نقيّ الثوب قليل العيب، أصاب خيرها، وسبق شرّها، أدّى إلى الله طاعته واتقاه بحقه، رحل وتركهم في طرق متشعّبة، لا يهتدي بها الضال، ولا يستيقن المهتدي» (1).

وهنا وقع الخلاف بين الشـرّاح في المعني بهـذا الكلام، فـذهب ابن أبي الحديد إلى أنّه أراد به عمر بن الخطاب ومال ابن ميثم إلى إرادة أبي بكر، وقال الراوندي أنّه أراد به بعض أصـحابه كمالك الأشتر، وذهب المحقق التستري إلى انّه كلام موضوع على أمير المؤمنين عليه السلام، إذ أنّنا لا نعتقد بصحة جميع ما هو بين دفتي نهج البلاغة، وليس لنا كتاب صحيح من أوله إلى آخره إلّا القرآن و الباقي يخضع لموازين النقد والبحث. 7

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 227

أما المصادر التي روت الحدث ففيها اختلاف، وفي بعضـها انّ هذا الكلام قول نائحة عمر، حيث قال السلام في آخره: و الله ما قالت ولكن قوّلت ممّا يدلّل على وجود ضـغط وكبت سياسـي آنذاك حتى على نائحة عمر، والّا فهو موضوع على لسان الإمام عليه السلام قطعاً، فكيف يقول الإمام انّ عمر أو أبو بكر «أقام السـنة» وقـد رفض عليه السـلام الخلافة لما سـيقت إليه يوم الشورى، ولم يقبلها للاشتراط عليه بالعمل بسـيرة الشـيخين وسـنتهما؟! فلو أقاماها بالنحو الصـحيح لقبل عليه السـلام ذلك وصار هو الخليفـة الثالث مكان عثمان، هـذا عـدا جانب الضعف السندي.

وكـذلك مـا نُسب إليه عليه السـلام من قوله: «فوليهم وال فأقـام و اسـتقام حتى ضـرب الـدين بجرانه حيث زعموا انّ المشار إليه هو عمر بن الخطاب، فنقول أولاً: انّ الخطبـة الشقشـقية أقوى سـنداً من هذا الكلام وقد أشار عليه السـلام هناك إلى ابتلاء الناس في تلك الفترة بالتلوّن والخبط والشدّة، فكيف يقول هنا: أقام واسـتقام وضـرب الدين بجرانه مع كثرة أخطائه الفقهية و السياسية؟ وثانياً: لو سلّمنا الصحة فانّ الفخر والمدح في الاستقامة الحاصلة آنذاك كانت لأمير المؤمنين عليه السلام حيث لم يأل جهداً في تصحيح الأخطاء، و الدفاع عن حوزة الدين.

3 – عثمان بن عفان:

أما عثمان فقـد تسـلّم دفـة الحكم نتيجـة صـراع سياسـي قبلي بين أهل الشورى – عدا أمير المؤمنين عليه السـلام – الذين انتخبهم عمر بن الخطاب

ليختـاروا من بينهم إمامـاً وحاكمـاً للنـاس، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السـلام: حتى إذا مضـى لسبيله جعلها في جماعـة زعم أنّي أحـدهم في الله و للشورى متى اعترض الريب فيّ مع الأوّل منهم حتى صـرت أقرن إلى هـذه النظائر، لكنّني أسـففت إذ أسـفوا، وطرت إذ طاروا، فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هنٍ وهنٍ (1).

طبعاً كانت النتيجة معلومة لأمير المؤمنين عليه السلام من قبل، فقد قال لعمّه العباس: عُدل بالأمر عنّي يا عم، قال: وما علمك؟ قال: «قُرن بي عثمان، وقال عمر: كونوا مع الأكثر، فان رضـي رجلان رجلاً و رجلان رجلاً، فكونوا مع الـذين فيهم عبد الرحمن، فسـعد لا يخالف ابن عمه وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفان فيوليها أحدهما الآخر، فلو كان الآخران معي لم يغنيا شيئاً» (2).

وكان كما تفرّس أمير المؤمنين عليه السـلام حيث أنتجت مهزلـة الشورى خلافة عثمان، وأبو طلحة الأنصاري واقف مع خمسـين رجلاً من الأنصار يحملون سيوفهم ليضربوا عنق من يخالف(3)، وأمير المؤمنين عليه السلام يناشد القوم بفضائله وسابقته، ولكن هل من مجيب؟!

قال أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك إلى أن قام ثالث القوم نافجاً .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم 3.

2- شرح النهج لابن أبي الحديد 1: 191.

3- المصدر نفسه 1: 187، تاريخ الطبري 3: 294.

حضـنيه بين نثيله و معتلفه، وقام معه بنوا أبيه يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الربيع، إلى أن انتكث عليه فتله وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته» (1).

كانت فترة حكومـة عثمان فترة عصـيبة، يصـفها أمير المؤمنين عليه السـلام بقوله: «انّه قـد كان على الامة وال أحدث أحداثاً، وأوجد الناس مقالاً، فقالوا ثم نقموا فغيّروا (2)

ويقول أيضاً و هو يمدح أهل مصـر: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى القوم الذين غضبوا لله حين عصي في أرضه، وذُهب بحقه، فضرب الجور سرادقه على البر والفاجر، والمقيم والظاعن، فلا معروف يُستراح إليه، ولا منكر يتناهى عنه (3).

ويشـرح لنـا ابن أبي الحديـد أسـباب نقمـة النـاس على عثمـان ويقول: أنّه أوطأ بني أميـة رقاب الناس، وولاهم الولايات، وأقطعهم القطائع وافتتحت افريقية في أيامه، فأخذ الخمس كلّه فوهبه المروان ... وطلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صِلة، فأعطاه أربعمائة ألف درهم.

و أعاد الحكَم بن أبي العاص بعد أن كان رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم قد سيّره ثم لم يرده أبو بكر ولا عمر وأعطاه مائة ألف درهم وتصدّق رسول 8

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 3.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 43.

3- المصدر نفسه الكتاب رقم: 38

الله صلى الله عليه و آله و سلم بموضع سوق بالمدينة يعرف بمهزور على المسلمين، فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان بن الحكم. وأقطع مروان فدَك وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة أبيها صلوات الله عليه تارةً

بالميراث، وتارة بالنحلة فدفعت عنها.

وحمى المراعي حول المدينة كلّها من مواشي المسلمين كلّهم إلا عن بني أمية. وأعطى عبد الله بن أبي سرح جميع ما أفاء الله عليه من فتح افريقية بالمغرب؛ وهي من طرابلس الغرب إلى طنجة من غير أن يشركه فيه أحد من المسلمين.

وأعطى أبا سفيان بن حرب مائتي ألف من بيت المال في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال، وقد كان زوّجه ابنته أم أبان فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح، فوضعها بين يدي عثمان وبكى فقال عثمان: أتبكي أن وصلتُ رحمي! قال: لا، و لكن أبكي لأنّي أظنّك أنّك أخذت هذا المال عوضاً عما كنت أنفقته في سبيل الله في حياة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. والله لو أعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً، فقال: ألقِ المفاتيح يا بن أرقم؛ فإنّا سنجد غيرك.

وأتاه أبو موسى بأموال من العراق جليلة، فقسّمها كلّها في بني أمية، وأنكح الحارث بن الحكم ابنته عائشة فأعطاه مائة ألف من بيت المال أيضاً بعد صرفه زيد بن أرقم عن خزنه.

وانضم إلى هذه الأمور أمور أخرى نقمها عليه المسلمون، كتسيير

أبي ذر رحمه الله تعالى إلى الربذة؛ وضـرب عبد الله بن مسعود حتى كسر أضلاعه وما أظهر من الحجاب والعدول عن طريقة عمر في إقامة الحـدود، وردّ المظالم، وكفّ الأيـدي العاديـة والانتصاب لسـياسة الرعيّة، وختم ذلك ما وجدوه من كتابه إلى معاوية يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين» (1).

هذه الأمور أدّت إلى سـخط الناس عليه فكتب مَنْ بالمدينة من أصـحاب النبي صـلى الله عليه و آله و سلم إلى مَن بالآفاق منهم، وكانوا قد تفرقوا في الثغور: انّكم خرجتم أن تجاهـدوا في سبيل الله عز وجل تطلبون دين محمـد فان دين محمـد قد أُفسد من خلفكم و ترك، فهلمّوا فأقيموا دين محمد فأقبلوا من كل افق حتى قتلوه (2).

و كان في مقدمة هؤلاء المعترضين طلحة و الزبير و أم المؤمنين عائشة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أما بعد فانّي أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سـمعه كعيانه انّ الناس طعنوا عليه فكنت رجلاً من المهاجرين أكثر اسـتعتابه و أقل عتابه وكان طلحة والزبير أهون سـيرهما إليه الوجيف، وأرفق حدائهما العنيف وكان من عائشة فيه فلتة غضب، فاتيح له قوم فقتلوه» (3). .

1- شرح النهج لابن أبي الحديد 1: 198.

2- تاريخ الطبري 3: 400.

3- نهج البلاغة الكتاب رقم: 1.

وقال عليه السلام أيضاً في قتل عثمان: «لو أمرت به لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً غير انّ من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يستطيع أن يقول نصره من هو خير منّي، وأنا جامع لكم أمره، استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، و لله حكم واقع في المستأثر و الجازع» (1).

و كان موقف أمير المؤمنين عليه السلام تجاه عثمان يتلخّص ضمن النقاط التالية:

1 - المناصحة، و ذلك لما اجتمع الناس إليه عليه السلام و شكوا ما نقموه على عثمان و سألوه مخاطبته واستعتابه لهم، فدخل عليه السلام على عثمان وقال له: «انّ الناس ورائي، وقد استسفروني بينك وبينهم، ووالله ما أدري ما أقول لك! ما أعرف شيئاً تجهله، ولا أدلّك على أمرٍ لا تعرفه إنّك لتعلم ما نعلم ما سبقناك إلى شيءٍ فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيءٍ فنبلّغكه، وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، و صحبت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كما صحبنا. وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطّاب بأولى بعمل عليه الحقّ منك، وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و شيجة رحم منهما، وقد نلت من صهره ما لم ينالا.

فالله الله في نفسك! فإنّك - والله - ما تبصّر من عمىً، ولا تعلّم من جهلٍ، وإنّ الطّرق لواضحة، وإنّ أعلام الدّين لقائمة. فاعلم أنّ أفضل .

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 30.

عباداللّه عنـد اللّه إمام عادل هـدي وهدى فأقام سـنّةً معلومةً، و أمات بدعةً مجهولةً، وإنّ السّـنن لنيّرة لها أعلام، وإنّ البدع ظاهرة لها أعلام وإنّ شـرّ النّاس عند اللّه إمام جائر ضلّ وضلّ به، فأمات سـنّةً مأخوذةً، وأحيا بدعةً متروكةً. و إنّي سـمعت رسول اللّه صـلى اللّه عليه و آله و سلم يقول: «يؤتى يوم القيامـة بالإمـام الجـائر و ليس معه نصـير ولا عاذر، فيلقى في نار جهنّم، فيـدور فيها كما تـدور الرّحى، ثمّ يرتبط في قعرها.

وإنّي أنشـدك اللّه أن تكون إمام هذه الأمّة المقتول، فإنّه كان يقال: يقتل في هذه الأمّة إمام يفتح عليها القتل و القتال إلى يوم القيامة، و يلبس أمورهـا عليها، ويبثّ الفتن فيها، فلا يبصـرون الحقّ من الباطل، يموجون فيها موجاً، ويمرجون فيها مرجاً. فلا تكوننّ لمروان سـيّقةً يسوقك حيث شاء بعد جلال السّنّ و تقضّي العمر.

فقال له عثمان: كلّم النّاس في أن يؤجّلوني حتّى أخرج إليهم من مظالمهم، فقال عليه السلام: ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، و ما غاب فأجله وصول أمرك إليه» (1)

وكتب إلى معاوية في أمر عثمان: «فان كان ذنبي إليه ارشادي وهدايتي له فرب ملوم لا ذنب له» (2).

2- الدفاع عنه، قال عليه السلام لابن عباس لما أرسله عثمان إليه وهو .

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 164.

2- المصدر نفسه، الكتاب رقم: 28.

محصور في بيته: «يا بن عباس، ما يريـد عثمان إلّا أن يجعلني جملاً ناضـحاً بالغرب أقبل وأدبر بعث اليّ أن أخرج ثم بعث اليّ أن أقدم، ثم هو الآن يبعث اليّ أن أخرج والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً» (1).

و كتب عليه السـلام في جواب معاويـة: ثم ذكرت مـا كـان من أمري وأمر عثمـان، فلك أن تجاب عن هـذه لرحمك منه فأيّنا كان أعـدى له وأهدى إلى مقاتله أمن بذل له نصرته فاستقعده واستكفّه، أم من استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون إليه (2).

3 – المعاتبة والسخط، قال عليه السلام في كتاب كتبه إلى أهل الكوفة: فكنت رجلاً من المهاجرين أكثر استعتابه، وأقل عتابه (3) وكتب في جواب معاوية: وما كنت لأعتذر من أنّي كنت أنقم عليه أحداثاً (4).

4 – التبرء من دمه، قال عليه السـلام: «لو أمرت به لكنت قائلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصـراً، غير انّ من نصره لا يستطيع أن يقول خذله من أنا خير منه، ومن خذله لا يسـتطيع أن يقول نصره من هو خير منّي، وأنا جامع لكم أمره: استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع ولله حكم 8

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 240

2- المصدر نفسه الكتاب رقم 28

3- المصدر نفسه الكتاب رقم: 1

4- المصدر نفسه الكتاب رقم 28

واقع في المستأثر والجازع» (1).

نعم هـذه كانت مواقف أمير المؤمنين عليه السـلام النبيلـة تجاه عثمان وأحداثه، ولكن ما جزاء عليّ عليه السـلام من عثمان أمام كل هذه؟! فانظر إلى ما رواه الزبير بن بكار وابك ألماً، فقد روى عن رجاله عن علي عليه السلام انّه قال:

أرسل اليّ عثمان في الهاجرة، فتقنّعت بثوبي وأتيته، فـدخلت عليه وهو على سـريره وفي يـده قضـيب وبين يـديه مال دثر: صبرتان من ورق وذهب فقال: دونك خـذ من هـذا ما تملأ بطنك فقد أحرقتني فقلت: وصـلتك،رحم إن كان هذا المال ورثته أو أعطاكه معط أو اكتسـبته من تجـارة كنت أحـد رجلين: إمـا آخـذ و أشـكر أو أوفّر وأجْهَـد وإن كان من مال الله وفيه حق المسـلمين واليتيم وابن السبيل فوالله مالك أن تعطينيه ولاـ لي أن آخـذه، فقـال أبيت والله الّا ما أبيت، ثمّ قام اليّ بالقضـيب فضـربني والله ما أردّ يـده حتى قضـى حاجته، فتقنعت بثوبي ورجعت إلى منزلي (2)..

ص: 71

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 30

2- شرح النهج لابن أبي الحديد 9: 16.

5 - علي عليه السلام و الخلافة

1 - البيعة

بعـد تلـك السـنوات العجـاف، تطلّع الناس إلى من ينجيهم من الوضع المأساوي الـذي حصل جرّاء خلافـة المتقـدمين، فاتجهوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، طبعاً لا بمعنى انّه إمام مفترض الطاعة منصوص عليه من قبل النبي صلى الله عليه و آله و سلم، بل اتجهوا إليه لتديّنه وعدله وزهده وما كان يمتلكه من صـفات فذّة افتقدها غيره، وهو عليه السـلام يشير إلى هذا الأمر ويقول: «انّي اريدكم الله، وأنتم تريدونني لأنفسكم (1) أي ليس ثمة اعتراف بالتقصير، ولا اعتراف بالنص، بل حاجة نفسية دعتهم إلى الاتجاه نحوه عليه السلام.

وقد وصف أمير المؤمنين عليه السـلام اقبال الناس إليه وشوقهم لمبايعته وقال: فما راعني إلّا والناس إليّ كعرف الضبع ينثالون عليّ من كل جانب، حتى لقد وُطئ الحسـنان، وشقّ عِطافي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم (2) وقال عليه السلام: «ثم تداككتم عليّ تداك الابل الهيم على حياضها يوم ورودها،

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 136.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم 3.

حتى انقطعت النعل، وسقط الرداء، و وطئ الضعيف، وبلغ سرور الناس ببيعتهم إياي أن ابتهج بها الصغير وهدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت اليها الكعاب (1). وقال عليه السلام: «فأقبلتم اليّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها، تقولون البيعة البيعة ... (2).

نعم هكذا كان إقبال الناس على أمير المؤمنين عليه السلام، وفي كل هذا لم نسمع عن النص والإمامة الإلهية شيئاً، ومع كل هذا فهو عليه السلام يمتنع ويقول: دعوني والتمسوا غيري.. وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً (3) ويقول: قبضت كفّي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجاذبتموها»(4) ويقول: «والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية اربة (5) ويقول: وبسطتم يدي فكففتها ومددتموها فقبضتها (6).

السبب في رفض الخلافة:

و هنا سؤال يطرح نفسه بجدّ، و كثيراً ما قرأناه في كتب أهل السنة، و سمعناه من أفواههم، وهو انّ أمير المؤمنين عليه السلام لماذا امتنع عن قبول 8

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 228

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 137.

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 91.

4- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 137

5- المصدر نفسه، الخطبة رقم 205

6- المصدر نفسه الخطبة رقم: 228

البيعة إلى أن أُجبر عليها؟! ونقول في الجواب:

1 – انّ الأكثريـة – كما قلنا – ما اتجهت إلى طلب البيعة بعنوان – الإمامة الإلهية، بل أرادوا بيعته بعنوان أنّه خليفة، حاله حال سائر الخلفاء الذين بايعوهم فبيعتهم أنّما كانت بيعة دنيوية سياسـية، ولـم تكن كبيعتهم لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلم على أنّه نبي مرسل من قبل الله تعـالى، فهنـا أيضاً لـم تكن البيعـة لكونه وصـيّ رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم وخليفته، يؤيّـده ما قاله عليه السـلام لهـم: «انّي أريدكم لله، وأنتم تريدونني لأنفسكم» (1).

2 – انّ الزمان قـد تغيّر، واختلط الحلال بالحرام، ممّا يصـعب معالجته إلّا بعـد أجيال، وهو يعلم عليه السـلام انّ الامة لا تطيق ذلك، كما أشـار إليه بقوله: «دعوني والتمسوا غيري فانّا مسـتقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وانّ الآفاق قـد أغامت والمحجّـة قـد تنكّرت واعلموا أنّي إن أجبتكم ركبت بكم مـا أعلم، ولـم أُصغ إلى قول القائـل وعتب العـاتب، وإن تركتموني فأنـا كأحـدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم مني أميراً (2).

3 – أنّه عليه السـلام كـان يعلم بـانّ المترفين سـيعارضون خلافته، فأراد أن يتمّ الحجـة عليهم باقبال معظم الناس عليه، ويسـدّ عليهم باب الاعتراض، ولذا 1

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 136

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 91

كان يقول عليه السلام: لم تكن بيعتكم إياي فلتة (1) و هذا ما تحقق بالفعل فاعترض عليه معاوية و أجابه عليه السلام بقوله: «انّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار و لا للغائب أن يرد، و انّما الشورى للمهاجرين و الأنصار، فان اجتمعوا على رجل و سمّوه إماماً كان ذلك لله رضى ...» (2).

فهو عليه السلام يعرّض أولاً ببيعة أبي بكر التي كانت فلتة من دون مشورة، وقد قبلها معاوية وأذعن إليها، فلماذا يتمرّد هنا؟ و ثانياً يقول له: انّك قبلت بشورى عمر بن الخطاب، وقد غاب عنها كل المسلمين سوى الستة الذين انتخبهم عمر بن الخطاب، فهناك أيضاً قبلت بالحكم ولم تعترض! وثالثاً انّ خروجك عليّ وعدم الاذعان الخلافتي خروج عن الامة الإسلامية وشق عصاها واعلان الحرب معها.

فهذا النص لا يدل على اقرار مسألة الاختيار في الخلافة من قبل الإمام، بل هو أمر احتجاجي جدلي أورده الإمام عليه السلام لدحض شبه معاوية، ولا علاقة له بمسألة الإمامة الإلهية الثابتة بالأدلة العقلية والنقلية، كما هو مشروح في كتب الكلام.

و بنفس الجواب أجاب عليه السلام طلحة والزبير لما خرجا عليه، فكتب إليهما: «أما بعد فقد علمتما و إن كتمتما أنّي لم أرد الناس حتى .

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 139.

2- المصدر نفسه الكتاب رقم 6.

أرادوني، و لم أبايعهم حتى بايعوني وانكما ممّن أرادني وبايعني (1)

4 – ان الإمامة عندنا – معاشر الشيعة – نيابة وخلافة عن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم في جميع المراتب سوى تلقي الوحي، و الزعامة السياسية أحد أركان الإمامة، و هذا الركن وإن كان ثابتاً للإمام بالنص الإلهي غير انّ تحققه و تفعيله على أرض الواقع منوط بشرائط مختلفة، إذا اجتمعت كلها وجب على الإمام التصدّي وإلّا فلا، فتفعيل الزعامة السياسية وتطبيقها على أرض الواقع – كما فعل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم في أخذ البيعة الأولى في العقبة – أو تركها والتخلّي عنها لظروف خاصة، و قد مرّ ذكر بعضها - كما فعل أمير المؤمنين عليه السلام – لا يضرّ بثبوتها الإلهي بل هو أمر منوط – تشخيصه واتخاذ الموقف تجاهه - بالإمام عليه السلام.

ولذا قال عليه السلام بعد مرحلة النبي صلى الله عليه و آله و سلم إلى الملأ الأعلى لعمه العباس وأبي سفيان لما جاءا للبيعة معه: ماء آجن، ولقمة يغص بها آكلها، ومجتني الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير أرضه» (2)، ذاك الموقف كان صحيحاً لقلة الناصر، و هذا الموقف أيضاً صحيح للأسباب التي مرّت، ولكنّه عليه السلام وافق على البيعة لانّ الحجة تمّت، والأسباب الظاهرية تهيّأت، والأبواب قد فتحت وعليه تم القبول من قبله عليه السلام إذ هو القائل: (وما أردت إلّا الإصلاح ما استطعت، و ما توفيقي إلّا بالله 5

1- نهج البلاغة، الكتاب رقم: 54.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم 5

عليه توكلت (1).

وقال عليه السلام: «اللهم انّك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الاصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك ... وقد علمتم أنّه لا ينبغي أن يكون على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الجائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطّل للسنة فيهلك الامة» (2)

وقال عليه السلام: «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أوّلها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز» (3).

انّ الإمام عليه السلام – كما قال – كان يريدهم لله تعالى، و لتحقيق الإمامة الإلهية على الأرض، ولكنّهم كانوا يريدونه لأنفسهم ولاصلاح أمورهم الدنيوية، وبايعوه على هذا الأساس وهذه الإمارة بهذا الفهم .

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 28

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 131.

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم 3.

الـدنيوي لا قيمة لها عند علي عليه السـلام، لذا قال لعبد الله بن عباس لما كان يخصف نعله: «ما قيمة هذا النعل؟ قال: فقلت: لا قيمة لها، قـال: والله لهي أحبّ إليّ من امرتكم الّا أن أُقيم حقـاً أو أدفع باطلاً» (1)، فعلي عليه السـلام يعبّر عنهـا بقوله: أمرتكم أي انّ هـذا الشأن الدنيوي الذي طلبتموني إليه لا قيمة له عندي إلّا ....

ولهـذا السـبب نفسه ردّ على الخوارج بقوله: انّه لابـد للنـاس من أمير برّ أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، و يسـتمتع فيها الكافر، ويبلغ فيها الأجل، ويُجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السـبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح بر ويُستراح من فاجر (2) فالكلام هنا عن الإمرة الدنيوية لا الإمامة الإلهية، وبين المقامين فرق فتأمّل.

2 - تحليل نفسية المجتمع:

قبل أن نبـدأ بتحليل نفسـية المجتمع عند تصدي أمير المؤمنين عليه السـلام الحكم، نتذكّر ونسترجع وصف مجتمع الصـحابة عند حضور النبي صلى الله عليه و آله و سلم كما ورد في الذكر الحكيم: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (3). وقال تعالى أيضاً:

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 33

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 40

3- آل عمران: 110

(وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (1)، ثم نتساءل عن سبب تراجع الامة عمّا كانت عليه.

والجواب واضح من قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) (2)، ويؤيده ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: حتى إذا قبض رسوله عليه السلام رجع قوم على الأعقاب، وغالتهم السبل واتكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي امروا بمودته ونقلوا البناء على رصّ أساسه فبنوه في غير موضعه

(3)

نعم، هذا هو السبب الرئيسي لتخلّف الأمة، لأنّه إذا تغيّر السلطان تغيّر الزمان (4)، وكما قال عليه السلام: فليست تصلح الرعية إلّا بصلاح الولاة وعند عدم صلاحهم وعدم قيامهم بواجبهم ينتج منه ما ذكره عليه السلام من قوله: «ظهرت معالم الجور، وكثر الادغال في الدين، وتركت محاج السنن، فعمل بالهوى، وعطلت الأحكام، وكثرت علل النفوس، فلا يستوحش لعظيم حق عطّل، ولا لعظيم باطل فعل (5).
16

1- البقرة: 143

2- آل عمران 144

3- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 150

4- المصدر نفسه الكتاب رقم 31

5- المصدر نفسه، الخطبة رقم 216

وفي عهده عليه السلام للأشتر يصرّح ويقول بكل وضوح: «انّ هذا الدين كان أسيراً في أيدي الأشرار يُعمل فيه بالهوى، وتُطلب به الدنيا»(1) و قال عليه السلام: «وكانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر، و إليكم ترجع فمكّنتم الظلمة من منزلتكم، وألقيتم إليهم أزمتكم، وأسلمتم أمور الله في أيديهم يعملون بالشبهات ويسيرون في الشهوات» (2).

وقد تغيّر الناس بالفعل عند تسلّم أمير المؤمنين عليه السلام دفة الحكم، وهو عليه السلام يشرح نفسيّة المجتمع آنذاك و يشير إلى عدّة نقاط:

منها تفشّي الفساد، قال عليه السلام: «أيها الناس انّا قد أصبحنا في دهر عنود وزمن شديد يُعدّ فيه المحسن مسيئاً، ويزداد الظالم فيه عتوّاً، لا ننتفع بما علمنا، ولا نسأل عمّا جهلنا، ولا نتخوّف قارعة حتى تحلّ بنا» (3)، وقال عليه السلام: «قد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلّا إدباراً، والشرّ إلّا إقبالاً، والشيطان في هلاك الناس إلّا طمعاً، فهذا أوان قويت عدّته، وعمّت مكيدته، وأمكنت فريسته، اضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلّا فقيراً يكابد فقراً، أو غنياً بدّل نعمة الله كفراً، أو بخيلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً أو متمرداً كانّ باذنه عن سمع المواعظ وقراً، أين خياركم وصلحاؤكم؟ أين أحراركم وسمحاؤكم؟ أين المتورّعون في مكاسبهم والمتنزهون في مذاهبهم؟ أليس قد ظعنوا

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 53

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 105

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم 32

جميعاً عن هذه الدنيا الدنية والعاجلة المنغَصة، وهل خُلّفتم الّا في حثالة لا تلتقي بذمهم الشفتان استصغاراً لقدرهم وذهاباً عن ذكرهم؟ فانّا لله وانا إليه راجعون ظهر الفساد فلا منكر مغيّر، ولا زاجر مزدجر (1) وقال عليه السلام: واعلموا رحمكم الله انّكم في زمان القائل فيه بالحق قليل، واللسان عن الصدق كليل و اللازم للحق ذليل، أهله معتكفون على العصيان مصطلحون على الادهان فتاهم عارم، و شائبهم آثم، وعالمهم منافق، وقارئهم ممازق، لا يعظّم صغيرهم كبيرهم، ولا يعول غنيّهم فقيرهم (2).

ومنها حب الدنيا، قال عليه السلام: قد صار حرامها عند أقوام بمنزلة السدر المخضود، وحلالها بعيداً غير موجود، وصادفتموها والله ظلاً ممدوداً إلى أجل معدود، فالأرض لكم شاغرة، وأيديكم فيها مبسوطة» (3)، وقال عليه السلام: قد غاب عن قلوبكم ذكر الآجال، وحضرتكم كواذب الآمال، فصارت الدنيا أملك بكم من الآخرة، والعاجلة أذهب بكم من الآجلة ... ما بالكم تفرحون باليسير من الدنيا تدركونه، ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه، ويقلقكم اليسير من الدنيا يفوتكم حتى يتبيّن ذلك في وجوهكم، وقلة صبركم عمّا زوي منها عنكم كانها دار مقامكم 04

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 129

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 232

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 104

وكأنّ متاعها باق عليكم» (1)، وقال عليه السلام: «انّ الناس قد تغيّر كثير منهم عن كثير من حظّهم، فمالوا مع الدنيا، ونطقوا بالهوى (2).

ومنها الغـدر، قال عليه السـلام: ولقد أصـبحنا في زمان اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً، ونسـبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة» (3)، وقال عليه السلام: «مازلت أنتظر بكم عواقب الغدر، وأتوسّمكم بحلية المغترين (4)

و منها الغفلة، قال عليه السلام: ولكنكم نسيتم ما ذُكّرتم، وأمنتم ما حُذّرتم فتاه عنكم رأيكم، وتشتّت عليكم أمركم (5).

ومنها خلط الحق والباطل، قال عليه السلام: «لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق» (6)

و منها التهاون في أمر الـدين قال عليه السـلام: «وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضـبون، وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون (7)، وقال عليه السلام: قد تصافيتم على رفض الآجل و حب العاجل، وصار دين أحدكم لُعقة .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 112.

2- المصدر نفسه الكتاب رقم 78

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 41.

4- المصدر نفسه، الخطبة رقم 4.

5- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 115.

6- المصدر نفسه، الخطبة رقم 68

7- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 105.

على لسانه صنيع من قد فرغ من عمله وأحرز رضى سيده (1).

ومنها اضاعـة الطريق، قال عليه السـلام: «انّ الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكّرت (2)، وقال عليه السـلام: مالي أراكم أشباحاً بلا أرواح، وأرواحاً بلا أشباح، ونسّاكاً بلا صلاح وتجاراً بلا أرباح، وأيقاضاً نوماً، وشهوداً غيّباً، وناظرة عمياً، وسامعة صماً، وناطقة بكماً (3).

ومنها الغرور والكبر والاعتداد بالنفس، قال عليه السلام: «فيا عجباً ومالي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها، لا يقتصّون أثر نبي، ولا يقتدون بعمل وصي، ولا يؤمنون بغيب، ولا يعفّون عن عيب، يعملون في الشبهات، و يسيرون في الشهوات، المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، مفزعهم في المعضـلات إلى أنفسـهم، وتعويلهم في المبهمات على آرائهم، كأنّ كل امرئ منهم إمام نفسه قد أخذ منها فيما يرى بعرى ثقات و أسباب محكمات» (4).

نعم هذه نفسـية المجتمع آنذاك و هي التي أولدت حرب الجمل و صـفّين و النهروان، راح ضحيتها عشرات الآلاف، وهذا هو الداء العضال الذي أقلق أمير المؤمنين عليه السلام و أسهر لياليه وهو القائل: «وقد 7

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 112

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 91

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 107

4- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 87

قلّبت هذا الأمر بطنه وظهره حتى منعني النوم، فما وجدتني يسعني إلّا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد صلى الله عليه و آله و سلم (1)، حقّاً أنّه لموقف عصيب، يحتاج إلى إيمان وبصيرة عالية، وليس لهذه الفتن إلّا أمير المؤمنين عليّ، كما قال عليه السلام: «أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجترئ عليها أحد غيري، بعد أن ماج غيهبها واشتد كلبها (2)

3 - وصف المسلمين آنذاك:

انّ الصفة الغالبة على خطب أمير المؤمنين عليه السلام وكتبه وقصار حكمه في نهج البلاغة، التبرّم من المسلمين الذين بايعوه، وبثّ الشكوى منهم لتمزّقهم وخذلانهم، وهذا ما التبس أمره على بعض إخواننا من أهل السنة فزعم انّ أمير المؤمنين عليه السلام يذم شيعته، ونقول في الجواب:

أولاً: أنّه عليه السلام لم يقصد بذلك شيعته الخلّص الذين قال في حقهم: أنتم الأنصار على الحق والإخوان في الدين و الجنن يوم البأس، و البطانة دون الناس بكم أضرب المدبر، وأرجو طاعة المقبل، فأعينوني بمناصحة خلية من الغش سليمة من الريب» (3)، وقال لما هجم أصحاب الجمل على البصرة: ووثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم صبراً

1- نهج البلاغة الخطبة رقم 53

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 92

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 117

وطائفة عضّوا على أسيافهم، فضاربوا بها حتى لقوا الله صادقين (1).

وقال عليه السلام: «أين اخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق، أين عمار و أين ابن التيهان و أين ذو الشهادتين، وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأُبرد برؤوسهم إلى الفجرة ... أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه و تدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه» (2).

فهؤلاء هم شيعة علي الخلّص أمثال عمار وابن التيهان، وذي الشهادتين، وهاشم بن عتبة و محمد بن أبي بكر، وكميل، ومالك الأشتر، وغيرهم من أمثالهم فكم ترى كان في جيش علي عليه السلام مثلهم؟! وهل تزعم انّ أمير المؤمنين ذمّ هؤلاء؟

و ثانياً: انّ جيش أمير المؤمنين عليه السلام كان يضمّ شرائح مختلفة، وطبقات من الناس متنوعة، فكان فيهم المؤمن و المنافق ومرضى القلوب و الخوارج و أنصار عثمان و قتلة عثمان وغيرهم، وكشاهد على ذلك لما قال له قوم من أصحابه: لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان، فقال عليه السلام لهم: «انّ الناس من هذا الأمر إذا حرّك على امور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى 82

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 217

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 182

ما لا ترون و فرقة لا ترى لا هذا ولا هذا (1).

فجيش علي عليه السلام كان يضمّ هذه الطوائف المختلفة التي بايعته كما بايعت من كان قبله وهم ليسوا شيعة بالمعنى الاصطلاحي.

و ثالثاً: انّ الـذم لم يكن مطلقاً وعلى نحو القضـية الحقيقيـة، بل جاء الـذم و التبرم بعـد التخاذل و التمزق وترك الطاعة، يدل عليه قوله عليه السلام: «أيها الناس انّه لم يزل أمري معكم على ما أحب حتى نهكتكم الحرب» (2).

ولما كانوا يظهروا التجلد والاسـتقامة يمدحهم، كما قال في بعض أيام صـفّين: «لقد شـفى و حاوح صدري أن رأيتكم بآخرة تحوزونهم كما حـازوكم، وتزيلونهم عن مواقفهم كمـا أزالوكم حسّـاً بالنصـال وشـجراً بالرمـاح تركب اولاـهم أخراهم كالابل الهيم المطرودة، تُرمى عن حياضها، وتذاد عن مواردها (3)

وكتب إلى أهـل البصـرة بعـدما فتحهـا وجزاكم الله من أهـل مصـر عن أهـل بيت نبيكم ما يجزي العاملين بطاعته، والشاكرين لنعمه، فقد سمعتم وأطعتم ودعيتم فأجبتم» (4).

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 168

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 208

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم 106 4 - المصدر نفسه الكتاب رقم: 2

4- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 2

ورابعاً: انّه عليه السلام كان يرى انّ هذا التخاذل سيؤدي إلى انكسار جيش الإسلام، وسيؤدي بتبعه إلى تغيير معالم الدين من قبل الطلقاء و أبناء الطلقاء الذين آمنوا رهبة و خوفاً، و ستذهب كل تلك الجهود التي بذلها عليه السلام لنصرة الإسلام وتنازل عن حقوقه الحقة، وتجرع الغصص و الآلام، ستذهب كل هذه الجهود سدى، و هذا ما صرّح به عليه السلام وقال: ولكنّني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجّارها، فيتخذوا مال الله دولاً، و عباده خولاً، و الصالحين حرباً، و الفاسقين حزباً، فانّ منهم الذي شرب فيكم الحرام، و جُلد حداً في الإسلام، و انّ منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الاسلام الرضائخ، فلولا ذلك ما أكثرت تأليبكم و تأنيبكم، وجمعكم وتحريضكم، ولتركتكم إذ أبيتم وونيتم (1)، وقال عليه السلام: «واعلموا انكم إن اتبعتم الداعي لكم، سلك بكم منهاج الرسول، وكفيتم مؤونة الاعتساف ونبذتم الثقل الفادح عن الأعناق (2).

وخامساً: انّ البعض منهم تأثّر بدعايات معاوية المسمومة ضد أمير المؤمنين عليه السلام لالقاء الفتنة – كما سنشير إليها - وعلى سبيل المثال اتهامه بالكذب، والذي اضطر أمير المؤمنين عليه السلام أن يدافع عن نفسه و يقول لأهل العراق: ولقد بلغني انكم تقولون عليّ يكذب، قاتلكم 66

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 62

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 166

الله فعلى من أكذب أعلى الله فأنا أوّل من آمن به أم على نبيه فأنا أوّل من صدّقه» (1)

هذا عدا بذل الأموال لشراء النفوس و الضمائر، كما بدأ بعض الأفراد يتسلّل إلى معاوية و يلتحق به بحيث أصبح ظاهرة، ممّا اضطر أمير المؤمنين عليه السلام أن يكتب إلى عامله على المدينة سهل بن حنيف الأنصاري: «أما بعد فقد بلغني انّ رجالاً ممن قبلك يتسلّلون إلى معاوية، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم و يذهب عنك من مددهم فكفى لهم غياً ولك منهم شافياً فرارهم من الهدى والحق، وإيضاعهم إلى العمى والجهل و انّما هم أهل دنيا مقبلون عليها، ومهطعون إليها، قد عرفوا العدل و رأوه، و سمعوه و وعوه، و علموا انّ الناس عندنا في الحق اسوة فهربوا إلى الاثرة، فبعداً لهم وسحقاً أنّهم والله لم ينفروا من جور، ولم يلحقوا بعدل ...» (2).

* * *

أما الآن فلنذكر ما ورد من ألفاظ الذم والتحريض في كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وهي تتسم بسمات مختلفة نوجزها فيما يلي: 0

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 70

2- المصدر نفسه الخطبة رقم: 70

1 – الغدر، قال علیه السلام: «ما زلت أنتظر بکم عواقب الغدر وأتوسّمکم بحلیة المغترین (1)

2 – البخل، قال علیه السلام: «فلا أموال بذلتموها للذي رزقها، ولا أنفس خاطرتم بها للذي خلقها (2)

3 – اتهامه علیه السلام بالکذب، قال علیه السلام: «أما بعد یا أهل العراق فانّما أنتم کالمرأة الحامل، حملت فلمّا أتمّت أملصت ومات قیّمها، وطال تأیّمها، وورثها أبعدها، أما و الله ما أتیتکم اختیاراً ولکن جئت إلیکم سوقاً ولقد بلغني انّکم تقولون عليّ یکذب، قاتلکم الله فعلی من أکذب، أعلی الله فأنا أول من آمن به أم علی نبیّه فأنا أوّل من صدّقه» (3)

4 – الاغترار بالدنیا، قال علیه السلام: «قد اصطلحتم علی الغلّ فیما بینکم و نبت المرعی علی دمنکم و تصافیتم علی حب الآمال و تعادیتم في کسب الأموال، لقد استهام بکم الخبیث، وتاه بکم الغرور، و الله المستعان علی نفسي ونفسکم» (4).

5 – ترک الحق، قال علیه السلام: «أیّها الناس لو لم تتخاذلوا عن نصر 33

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 4

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 116

3- المصدر نفسه الخطبة رقم: 70

4- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 133

الحـق، ولـم تهنـوا عن تـوهين الباطـل، لـم يطمـع فيكم من ليس مثلكم، ولـم يقو من قوي عليكم، لكنكم تهتم متـاه بني إسـرائيل، ولعمري ليضعفنّ لكم التيه من بعدي اضعافاً بما خلّفتم الحق وراء ظهوركم، وقطعتم الأدنى، ووصلتم الأبعد» (1).

6 – الخـذلان والتذبـذب، قال عليه السـلام بعـدما علم باستيلاء أصـحاب معاوية على اليمن: انبئت بسـراً قد اطلع اليمن، وانّي والله لأظنّ هؤلاء القوم سـيدالون منكم باجتمـاعهم على باطلهم و تفرقكم عن حقكم، وبمعصـيتكم امامكم في الحق، و طاعتهم امامهم في الباطل وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم، وبصـلاحهم في بلادهم وفسادكم، فلو ائتمنت أحدكم على قعب لخشـيت أن يذهب بعلاقته ... اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء. (2)

وقال عليه السـلام: ألا وانّي قـد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسـرّاً واعلاناً، وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غُزي قوم قـط في عقر دارهم إلّا ذلّوا فتواكلتم و تخـاذلتم حتى شُنّت عليكم الغـارات، وملكت عليكم الأوطـان ... فيا عجباً والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرّقكم عن حقكم، فقبحاً لكم وترحاً حين صـرتم غرضاً يرمى يغار عليكم ولا تغيرون 25

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 166

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 25

وتُغزون ولا تَغزون ويعصى الله و ترضون فإذا أمرتكم بالسير اليهم في أيام الحر قلتم هذه حمّارة القيظ أمهلنا يسبّخ عنّا الحرّ، وإذا أمرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم: هذه صبارة القُرّ، أمهلنا ينسلخ عنّا البرد،

كل هذا فراراً من الحرّ و القرّ، فإذا كنتم من الحرّ و القُرّ تفرّون فأنتم والله من السيف أفرّ، يا أشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال وعقول ربات الحجال، لوددت أنّي لم أركم ولم أعرفكم معرفة والله جرّت ندماً وأعقبت سدماً، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، و جرعتموني نغب التهمام أنفاساً، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان و الخذلان ...» (1).

و قال عليه السلام: «أيّها النّاس المجتمعة أبدانهم المختلفة أهواؤهم كلامكم يوهي الصّمّ الصّلاب، وفعلكم يطمع فيكم الأعداء. تقولون في المجالس كيت و كيت فإذا جاء القتال قلتم: حيدي حياد! ما عزّت دعوة من دعاكم ولا استراح قلب من قاساكم أعاليل بأضاليل؛ دفاع ذي الدين المطول. لا يمنع الضّيم الدليل، ولا يدرك الحقّ إلا بالجدّ؛ أيّ دار بعد داركم تمنعون، ومع أيّ إمام بعدي تقاتلون المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسّهم الأخيب، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل. أصبحت والله لا أصدّق قولكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أوعد العدوّ بكم، ما بالكم؟ ما دواؤكم؟ ما طبكم؟ القوم 27

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 27

رجال أمثالكم، أقولاً بغير علم و غفلة من غير ورع و طمعاً في غير حقّ!» (1)

و قال عليه السلام: «أفّ لكم! لقد سئمت عتابكم! أرضيتم بالحياة الدّنيا من الآخرة عوضاً! وبالذلّ من العزّ خلفاً! إذا دعوتكم إلى جهاد عدوّكم دارت أعينكم؛ كأنّكم من الموت في غمرة، و من الذّهول في سكرة، يرتج عليكم حواري فتعمهون فكأنّ قلوبكم مألوسة، فأنتم لا تعقلون. ما أنتم لي بثقة سجيس اللّيالي وما أنتم بركن يمال بكم، ولا زوافر عزّ يفتقر إليكم ما أنتم إلّا كابل ضلّ رعاتها، فكلّما جمعت من جانب انتشرت من آخر. لبئس لعمر الله سعر نار الحرب أنتم! تكادون ولا تكيدون، وتُنتقص أطرافكم فلا تمتعضون لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، غلب و الله المتخاذلون! وايم الله إنّي لأظنّ بكم أن لو حمس الوغى، واستحرّ الموت، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرّاس» (2).

و قال عليه السلام: منيت بمن لا يطيع إذا أمرت، و لا يجيب إذا دعوت، لا أبا لكم! ما تنتظرون بنصركم ربّكم! أما دين يجمعكم، ولا حميّة تُحمشكم! أقوم فيكم مستصرخاً، وأناديكم متغوّثاً، فلا تسمعون لي قولاً، ولا تطيعون لي أمراً، حتى تكشف الامور عن عواقب المساءة، 34

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 29

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم 34

فما يدرك بكم ثار، ولا يبلغ بكم مرام دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الأسرّ، وتثاقلتم تثاقل النّضو الأدبر، ثمّ خرج إليّ منكم جنيد متذائب ضعيف؛ كأنّما يساقون إلى الموت وهم ينظرون» (1).

وقال عليه السلام: كم أداريكم كما تـدارى البكار العمـدة، والثّياب المتداعيـة! كلّما حيصت من جانب تهتّكت من آخر كلّما أطلّ عليكم منسـر من مناسـر أهل الشّام أغلق كلّ رجل منكم بابه و انجحر النجحار الضّبّة في جحرها، والضّبع في وجارها الذّليل والله من نصر تموه؛ ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل. إنّكم والله لكثير في الباحات قليل تحت الرّايات، وإنّي لعالم بما يصلحكم، ويقيم أودكم ولكنّي والله لا أرى إصـلاحكم بإفساد نفسـي. أضـرع الله خدودكم، وأتعس جدودكم! لاتعرفون الحقّ كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحقّ!). (2)

وقال عليه السـلام: «أما والذي نفسي بيده ليظهرنّ هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنّهم أولى بالحقّ منكم، ولكن لاسراعهم إلى باطل صاحبهم، وإبطائكم عن حقّي. ولقد أصـبحت الامم تخاف ظلم رعاتها، وأصبحت أخاف ظلم رعيّتي. استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، و أسمعتكم فلم تسمعوا ودعوتكم سرّاً وجهراً فلم تستجيبوا، .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 39.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم 68.

ونصـحت لكم فلم تقبلوا شـهود كغيّاب وعبيد كأرباب! أتلوا عليكم الحكم فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرّقون عنها، وأحثّكم على جهـاد أهل البغي فما آتي على آخر قولي حتّى أراكم متفرّقين أيادي سـبا، ترجعون إلى مجالسـكم و تتخادعون عن مواعظكم أقوّمكم غدوة، وترجعون إليّ عشيّة، كظهر الحنيّة عجز المقوّم، وأعضل المقوّم.

أيّها الشّاهدة أبدانهم الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت والله أنّ معاوية صارفني بكم

صرف الدّينار بالدّرهم، فأخذ منّي عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم!

يا أهل الكوفـة، منيت منكم بثلاث واثنتين: صمّ ذو و أسـماع، وبكم ذووكلام، وعمي ذو و أبصار، لا أحرار صـدق عند اللّقاء، ولا إخوان ثقة عنـد البلاـء! تربت أيـديكم! يا أشـباه الابل غاب عنها رعاتها! كلّما جمعت من جانب تفرّقت من،آخر والله لكأنّي بكم فيما إخال لو حمس الـوغى، وحمي الضّـراب، قـد انفرجتم عن ابن أبي طـالب انفراج المرأة عن قبلهـا، وإنّي لعلى بيّنـة من ربّي، ومنهـاج من نـبيّي، وإنّي لعلى الطّريق الواضح ألقطه لقطاً» (1).

وقال عليه السلام: «ما أنتم بوثيقة يُعلق بها، ولا زوافر عزّ يعتصم اليها، لبئس حُشاش نار الحرب أنتم أفٍ لكم لقد لقيت منكم برحاً، يوماً .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 96.

اناديكم ويوماً أناجيكم، فلا أحرار صدق عند النداء، و لا اخوان ثقة عند النجاء» (1).

وقال عليه السلام: «أيتها النفوس المختلفة، والقلوب المتشتتة، الشاهدة أبدانهم، والغائبة عنهم عقولهم، أظاركم على الحق وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الأسد، هيهات أن أُطلع بكم سرار العدل، أو اقيم اعوجاج الحق» (2).

وقال عليه السلام: أحمد الله على ما قضى من أمر، وقدّر من فعل، وعلى ابتلائي بكم أيّتها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع، وإذا دعوت لم تجب، إن أُمهلتم خضتم، وإن حوربتم خرتم، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم، وإن أجبتم إلى مشاقّة نكصتم لا أبا لغيركم! ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقّكم! الموت أو الذّلّ لكم! فوالله لئن جاء يومي - وليأتينّي - ليفرّقنّ بيني وبينكم وأنا لصحبتكم قال وبكم غير كثير.

لله أنتم! أما دين يجمعكم! ولا محميّة تشحذكم! أوليس عجباً أنّ معاوية يدعو الجفاة الطّغام فيتّبعونه على غير معونة ولا عطاء، وأنا أدعوكم - وأنتم تريكة الإسلام وبقيّة النّاس - إلى المعونة أو طائفة من العطاء، فتتفرّقون عنّي وتختلفون عليّ! إنّه لا يخرج إليكم من أمري رضى فترضونه، ولا سخط فتجتمعون عليه (3). .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 125.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 131

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 180.

وقال عليه السلام: وأدبتكم بسوطي فلم تستقيموا، وحدوتكم بالزواجر فلم تستوسقوا لله أنتم أتتوقعون إماماً غيري يطأ بكم الطريق ويرشدكم السبيل (1).

وكتب عليه السلام الى ابن عباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر بمصر: «وقد كنت حثثت الناس على الحاقه، وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة، ودعوتهم سرّاً وجهراً وعوداً وبدءاً، فمنهم الآتي كارهاً، ومنهم المعتلّ كاذباً، ومنهم القاعد خاذلاً، أسأل الله تعالى أن يجعل لي منهم فرجاً عاجلاً، فوالله لولا طمعي عند لقائي عدوّي في الشهادة، وتوطيني نفسي على المنية لأحببت ألّا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً، ولا ألتقي بهم أبداً» (2).

وقال عليه السلام: «إن كانت الرعايا قبلي لتشكو حيف رعاتها، وأنّني اليوم لأشكو حيف رعيّتي، كأنّي المقود وهم القادة، أو الموزوع وهم الوزعة» (3).

4 - سيرته عليه السلام الحكومية:

تتلخّص ملامح سيرة أمير المؤمنين عليه السلام الحكومية كما يلي:

1 - العمل بالشريعة وتبليغ مهام الرسالة، قال عليه السلام: «ألم أعمل

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 182

2- المصدر نفسه الكتاب رقم 35

3- المصدر نفسه، قصار الحكم: 252

فيكم بالثقل الأكبر، وأترك فيكم الثقل الأصغر، وركزت فيكم راية الإيمان، ووقفتكم على حدود الحلال والحرام، وألبستكم العافية من عدلي وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي (1)

وقال عليه السلام: والله ما أسمعكم الرسول صلى الله عليه و آله و سلم شيئاً الّا وها أنا ذا اليوم مسمعكموه، وما أسماعكم اليوم بدون أسماعكم بالأمس، ولا شقّت لهم الأبصار، ولا جعلت لهم الأفئدة في ذلك الأوان الّا وقد أعطيتم مثلها في هذا الزمان، ووالله ما بُصّرتم بعدهم شيئاً جهلوه، ولا أصفيتم به وحرموه (2).

وقال عليه السلام: ولكم علينا العمل بكتاب الله، وسيرة رسوله، والقيام بحقّه و النعش لسنته (3).

وقال عليه السلام: «أيها الناس، أنّي قد بثثت لكم المواعظ التي وعظ بها الأنبياء امممهم، وأدّيت اليكم ما أدّت الأوصياء إلى من بعدهم (4)

2 – متابعة الحق، قال عليه السلام: «أقمت لكم على سنن الحق في جواد المظلّة، حيث تلتقون ولا دليل، وتحتفرون و لا تميهون» (5). .

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 86.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 88

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 169

4- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 182.

5- المصدر نفسه، الخطبة رقم 4.

وقال عليه السلام: «لم يكن لأحد فيّ مهمز، ولا لقائل فيّ مغمز، الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له والقويّ عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه» (1).

3 – التدرّج في الأمور، و ذلك – كما قلنا - للتنوع الفكري و العقائدي والسياسي الكبير الذي كان يسود المجتمع الاسلامي آنذاك، مما اضطر أمير المؤمنين عليه السلام إلى أخذ سياسة التدرج في سلوكه الحكومي، فهو عليه السلام لم تتم بيعته بعد ولم تستحكم حتى جاءه قوم من المسلمين وقالوا له: لو عاقبت قوماً ممن أجلب على عثمان فأجابهم عليه السلام بجواب اقناعي و قال في آخره: «فاصبروا حتى يهدأ الناس و تقع القلوب مواقعها، و تؤخذ الحقوق مسمحة فاهدأوا عنّي، و انظروا ماذا يأتيكم به أمري، ولا تفعلوا فعلة تضعضع قوة، وتسقط مُنّة، وتورث وهناً وذلّة، وسأمسك الأمور ما استمسكت، وإذا لم أجد بُداً فآخر الدواء الكيّ» (2).

وقال عليه السلام: «فان ترتفع عنّا وعنهم محن البلوى، أحملهم من الحق على محضه» (3).

وقال عليه السلام: لو قد استوت قدماي من هذه المداحض لغيّرت أشياء» (4). .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 37

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 168.

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 162.

4- المصدر نفسه، قصار الحكم: 263.

فهو عليه السلام لم يكن متعنتاً برأيه حفاظاً على وحدة الامة ورعاية لمصلحة الدين، وتوحيداً للصف أمام العدو، ولذا كان يستشير ويقول:

فلا تكفّوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل (1)

4 – التآلف ونبـذ الفرقة، قال عليه السـلام: «وليس رجل ـ فاعلم ـ أحرص على جماعة امة محمد صـلى الله عليه و آله و سـلم والفتها منّي، أبتغي بذلك حسن الثواب وكرم المآب، وسافي بالذي وأيت على نفسي (2).

5 – العفو والصـفح وحسن السـيرة، قال عليه السلام: «ولقد أحسنت جواركم، وأحطت بجهدي من ورائكم وأعتقتكم من ربق الذل، وحلق الضيم، شكراً منّي للبرّ القليل، وإطراقاً عمّا أدركه البصر، و شهده البدن من المنكر الكثير» (3).

و قـال عليه السـلام لأهـل البصـرة: «وقـد كـان من انتشـار حبلكم و شـقاقكم ما لم تغبوا عنه، فعفوت عن مجرمكم، و رفعت السـيف عن مدبركم، و قبلت مقبلكم» (4).

ولما قال له بعض الخوارج قاتله الله كافراً ما أفقهه همّ قوم من أصحابه أن يقتلوه، فنهاهم وقال: رويداً، انّما هو سب بسب أو عفو .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 216.

2- المصدر نفسه، الكتاب رقم: 78

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 159

4- المصدر نفسه، الكتاب رقم: 29.

عن ذنب»(1).

وقال عليه السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله: «إن أبق فأنا وليّ وإن أفن فالفناء ميعادي، وإن أعف فالعفو لي قربة، وهو لكم حسنة، فاعفوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم (2).

6 – العدل وترك الظلم، قال عليه السلام: «انّي لعالم بما يصلحكم ويقيم أو دكم، ولكنّي والله لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي» (3)

وقال عليه السلام: «أيها الناس أعينوني على أنفسكم، وايم الله لأنصفنّ المظلوم من ظالمه ولأقودنّ الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً» (4)

وقال عليه السلام في تعامله بالعدل والانصاف حتى مع نفسه القدسية: «أيها الناس انّي والله ما أحثّكم على طاعة الّا و أسبقكم اليها، ولا أنهاكم عن معصية الّا وأتناهى قبلكم عنها» (5)

وقال عليه السلام: والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهّداً، أو أجرّ في الأغلال مصفّداً، أحب اليّ من أن ألقى الله و رسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس 75

1- نهج البلاغة، قصار الحكم: 408.

2- المصدر نفسه، الكتاب رقم: 23

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم 68.

4- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 136.

5- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 175

يُسـرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها ... والله لو أُعطيت الأقاليم السـبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصـي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته» (1)

وكـان عليه السـلام يكتب إلى عمـاله حينمـا يمرّ بالجيش من مـدنهم ويوصـيهم بالجيش خيراً و يقول: «وأنا بين أظهر الجيش، فارفعوا اليّ مظالمكم مما يغلبكم من أمرهم ولا تطيقون دفعه الّا بالله وبي، أُغيره بمعونة الله إن شاء الله» (2).

وفي عهـده عليه السـلام لمالك الأشتر: «أنصف الله وأنصف الناس من نفسك خاصّة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فانّك الّا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته، وكان لله حرباً حتى ينزع ويتوب، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم، فانّ الله سميع دعوة المظلومين، وهو للظالمين بالمرصاد» (3).

7 – ترك الغدر والخيانة، قال عليه السـلام: «لقد أصـبحنا في زمان اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة، ما لهم قاتلهم الله، قد يرى الحوّل القُلّب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله 3.

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 223

2- المصدر نفسه الكتاب رقم 60

3- المصدر نفسه، الكتاب رقم 53.

ونهيه، فيدعها رأي العين بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين»(1).

وقال عليه السلام: «وما معاوية بأدهى منّي ولكنّه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة» (2).

وفي عهده عليه السلام للأشتر: وإن عقدت بينك وبين عدو لك عقدة، أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمّتك بالأمانة، واجعل نفسك جنّة دون ما أعطيت، فانّه ليس من فرائض الله عزوجل شيء الناس أشدّ عليه اجتماعاً، مع تفريق أهوائهم وتشتيت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر، فلا تغدرنّ بذمتك ولا تخيسنّ بعهدك، ولا تختلنّ عدوّك» (3).

طبعاً هذا فيما لو التزم العدوّ بالوفاء أيضاً، والّا كما قال عليه السلام: «الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، و الغدر بأهل الغدر وفاء عند الله» (4).

8 - الاصلاح، قال عليه السلام وهو يدعو: «اللهم أيّما عبد من عبادك .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 41.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 200.

3- المصدر نفسه، الكتاب رقم 53.

4- المصدر نفسه، قصار الحكم: 250.

سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة، والمصلحة في الدين و الدنيا غير المفسدة، فأبى بعد سمعه لها إلّا النكوص عن نصرتك والإبطاء عن اعزاز دينك، فانّا نستشهدك عليه ...» (1)

وقال عليه السلام: و ما أردت إلّا الاصلاح ما استطعت ... (2).

وقال عليه السلام: «اللهم انّك تعلم أنّه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان، ولا التماس شيء من فضول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الاصلاح في بلادك، فيأمن المظلومون من عبادك، وتقام

المعطّلة من حدودك» (3).

9 - التواضع، قال عليه السلام: «انّ من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس أن يظنّ بهم حب الفخر ويوضع أمرهم على الكبر، وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أنّي أُحب الإطراء واستماع الثناء ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أُحبّ أن يُقال ذلك لتركته المحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة و الكبرياء، و ربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء، فلا تثنوا عليّ بجميل ثناء لإخراجي نفسي إلى الله واليكم من البقية في حقوق لم أفرغ من أدائها، وفرائض لابد من امضائها، فلا تكلّموني بما تكلّم به الجبابرة، ولا تتحفّظوا منّي 31

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 212

2- المصدر نفسه الكتاب رقم 28

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 131

بمـا يتحفّظ به عنـد أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعـة، ولا تظنّوا بي اسـتثقالاً في حق قيل لي ولا التماس اعظام لنفسـي، فلا تكفّوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل ... (1).

وقال عليه السـلام لما مرّ بـدهاقين الأنبار فمشوا بين يـديه وترجلوا: «ما هـذا الـذي صـنعتموه؟» فقالوا: خلق منّا نعظّم به امراءنا، فقال عليه السلام: «والله ما ينتفع بهذا امراؤكم وانّكم لتشقّون به على أنفسكم في دنياكم وتشقون به في آخر تكم ...» (2).

و قال عليه السـلام لحرب بن شـرحبيل الشـبامي من وجوه الشباميين لما مشى خلفه وهو عليه السلام راكب: «ارجع فانّ مشي مثلك مثلي فتنة للوالي، ومذلة للمؤمن» (3).

10 – الزهد، قال عليه السلام: ألا وانّ امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه ... فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منها اتان دبرة ...) (4).

11 – المواساة، قال عليه السلام: ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفّى 5

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 216

2- المصدر نفسه، قصار الحكم 33

3- المصدر نفسه، قصار الحكم: 313

4- المصدر نفسه الكتاب رقم 45

هـذا العسل و لباب هـذا القمـح، ونسائج هذا القزّ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشـعي إلى تخيّر الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو باليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً

وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى، أو أكون كما قال القائل:

وحسبك أن تبيت ببطنة *** وحولك أكباد تحنّ إلى القدّ

أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين و لا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون اسوة لهم في جشوبة العيش ... (1).

12 – المساواة في التعامل، كتب عليه السلام لسهل بن حنيف واليه على المدينة لما تسلّل بعض أهلها إلى معاوية: وعلموا انّ الناس عندنا في الحق اسوة، فهربوا إلى الأثرة، فبعداً لهم وسحقاً (2).

وكتب عليه السـلام لمحمد بن أبي بكر: فاخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظة و النظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم (3).

13 – عدم تولية الفاسقين و الفجار، كتب عليه السلام إلى معاوية وحاش لله أن تلي للمسلمين بعدي صدراً أو ورداً، أو أجري لك على .

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 45.

2- المصدر نفسه الكتاب رقم: 70.

3- المصدر نفسه الكتاب رقم 27.

أحدٍ منهم عقداً أو عهداً» (1).

وكتب عليه السلام إلى المنذر بن الجارود وقد عزله بعد خيانته: «ومن كان

بصفتك فليس بأهل أن يُسدّ به ثغر أو يُنفذ به أمر، أو يُعلى له قدر، أو يُشرك في أمانة، أو يؤمن على خيانة (2).

و في كتابه إلى معاوية أيضاً: و أما طلبك اليّ الشام، فانّي لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس (3).

14 - الهداية إلى الكمال، قال عليه السلام لأهل البصرة: «فان أطعتموني فانّي حاملكم إن شاء الله على سبيل الجنة، وإن كان ذا مشقة شديدة ومذاقة مريرة (4).

15 - تفقّد أحوال الأمراء ومراقبتهم كتب عليه السلام إلى ابن عباس وهو عامله على البصرة: وقد بلغني تنمّرك لبني تميم وغلظتك عليهم، وانّ بني تميم لم يغب لهم نجم الّا طلع لهم آخر، وانّهم لم يُسبقوا بوغم في

جاهلية ولا اسلام ... (5)

وكتب إلى بعض عماله: «أما بعد، فانّ دهاقين أهل بلدك شكوا 8

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 65

2- المصدر نفسه الكتاب رقم: 71

3- المصدر نفسه الكتاب رقم: 17

4- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 156

5- المصدر نفسه الكتاب رقم: 18

منك غلظة وقسوة، واحتقاراً وجفوة، ونظرت فلم أرهم أهلاً لأن يدنوا لشركهم، ولا أن يُقصوا ويُحفوا لعهدهم ...» (1)

وكتب أيضاً إلى زياد بن أبيه: و انّي اقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني انّك خُنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً، لأشدنّ عليك شدّة تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر. (2)

وكتب إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: «أما بعد يا بن حنيف، فقد بلغني انّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت انّك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوّ، وغنيّهم مدعوّ» (3).

5 - سيرته عليه السلام المالية

كانت معالم سيرة أمير المؤمنين عليه السلام المالية تعتمد على الركائز التالية:

1 - رعاية العدل، قال عليه السلام بالنسبة إلى قطائع عثمان: «والله لو وجدته قد تزوّج به النساء، ومُلك به الاماء لرددته، فانّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق» (4)

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 19.

2- المصدر نفسه الكتاب رقم: 20

3- المصدر نفسه الكتاب رقم 45

4- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 15

وقال عليه السلام لبعض شيعته لما طلب منه مالاً: «انّ هذا المال ليس لي ولا لك، وانّما هو فيء للمسلمين وجلب أسيافهم، فان شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم، والّا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم» (1).

وقد تجسّد هذا العدل المالي في وصاياه إلى من يستعمله على الخراج، فقد كتب اليهم: انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروّعنّ مسلماً، ولا تجتازنّ عليه كارهاً ولا تأخذنّ منه أكثر من حقّ الله في ماله.

فإذا قدمت على الحيّ فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثمّ امض إليهم بالسّكينة والوقار، حتّى تقوم بينهم فتسلّم عليهم ولا تخدج بالتّحيّة لهم، ثمّ تقول: عباد الله أرسلني إليكم وليّ الله وخليفته، لآخذ منكم حقّ الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حّق فتؤدّوه إلى وليّه! فإن قال قائل: لا، فلا تراجعه، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو توعده أو تعسفه أو ترهقه فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضّة، فإن كانت له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلّا بإذنه، فإنّ أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخلها دخول متسلّط عليه ولا عنيف به، ولا تنفّرنّ بهيمة ولا تفزعنّها، ولا تسوءنّ صاحبها فيها، واصدع المال صدعين، ثمّ خيّره، فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختاره، ثمّ اصدع الباقي 1

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 231

صدعين، ثمّ خيّره، فإذا اختار فلا تعرضنّ لما اختار فلا تزال بذلك حتّى يبقى ما فيه وفاء لحقّ الله في ماله فاقبض حقّ الله منه، فإن استقالك فأقله، ثمّ اخلطهما، ثمّ اصنع مثل الّذي صنعت أوّلاً حتّى تأخذ حق الله في ماله.

ولا تأخـذنّ عوداً، ولا هرمـة، ولا مكسورة، ولا مهلوسة، ولا ذات عوار. ولا تأمنّ عليها إلّا من تثق بدينه رافقاً بمال المسـلمين حتّى يوصـله إلى وليّهم فيقسمه بينهم ولا توكّل بها إلّا ناصحاً شفيقاً وأميناً حفيظاً غير معنّف ولا مجحف، ولا ملغب ولا متعب.

ثم احدر إلينا ما اجتمع عندك، نصـيّره حيث أمر الله به. فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه ألّا يحول بين ناقة وبين فصـيلها، ولا يمصر لبنها فيضرّ ذلك بولدها، ولا يجهدنّها ركوباً، وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها، وليرفّه على اللّاغب، وليسـتأن بالنّقب والظّالع، وليوردها ما تمرّ به من الغـدر، ولاـ يعـدل بها عن نبت الأرض إلى جوادّ الطّرق، وليروّحها في السّاعات وليمهلها عنـد النّطاف والأعشاب، حتّى تأتينا بإذن الله بـدناً،منقيات غير متعبات ولا مجهودات، لنقسـمها على كتاب الله وسـنّة نبيّه عليه السـلام فإنّ ذلك أعظم لأجرك، وأقرب لرشـدك، إن شاء الله» (1).

وكتب إليهم أيضاً: ولا تضربنّ أحداً سوطاً لمكان درهم، ولا .

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 25.

تمسّن مال أحد من الناس مصلّ ولا معاهد الّا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يُعدى به على أهل الاسلام، فانّه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الاسلام، فيكون شوكة عليه (1).

وفي عهده عليه السلام لمالك الأشتر: وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع و المبتاع.

2 – التسوية في العطاء، قال عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطاء من غير تفضيل إلى السابقات و الشرف: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه و الله لا أطور به ما سمر سمير و ما أمّ نجم في السماء نجماً، لو كان المال لي لسوّيت بينهم، فكيف وانّما المال مال الله. (2)

وقال عليه السلام لطلحة والزبير: وأمّا ما ذكر تما من أمر الاسوة، فانّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي، ولا وليته هوىً منّي، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد فرغ منه، فلم أحتج اليكما فيما قد فرغ الله من قسمه و أمضى فيه حكمه، فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبى (3).05

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 51

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 126

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 205

ويشـرح عليه السـلام معـاملته مع أخيه عقيـل لما طلب منه زيادة في العطاء: «والله لقـد رأيت عقيلاً و قـد أملق حتّى اسـتماحني من برّكم صاعـاً، ورأيت صبيـانه شـعث الألوان من فقرهم، كأنّما سوّدت وجوههم بالعظلم، وعاودني مؤكّداً، وكرّر عليّ القول مردّداً، فأصـغيت إليه سمعي، فظنّ أنّي أبيعه ديني وأتّبع قيـاده مفارقـاً طريقي، فأحميت له حديـدةً، ثمّ أدنيتها من جسـمه ليعتبر بها، فضـجّ ضـجيج ذي دنف من ألمها، وكاد أن يحترق من ميسـمها، فقلت له: ثكلتك الثّواكل يا عقيل! أتئنّ من حديدة أحماها إنسانها للعبه وتجرّني إلى نار سجرها جبّارها لغضبه! أتئنّ من الاذى ولا أئنّ من لظىً؟!». (1)

وكتب عليه السـلام إلى مصقلة بن هبيرة: ألا وانّ حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء، يردون عندي عليه ويصدرون عنه (2).

3 – مراقبة العمال، قال عليه السلام لشريح لما اشترى داراً: «فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك، أو نقدت الثمن من غير حلالك، فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا والآخرة. (3)

4 – النصـيحة و التذكر كتب عليه السلام للأشعث بن قيس عامله على آذربيجان: و انّ عملك ليس لك بطعمة، ولكنّه في عنقك أمانة، وأنت مسترعى لمن فوقك .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 223 –

2- المصدر نفسه، الكتاب رقم 43.

3- المصدر نفسه الكتاب رقم 3.

ليس لك أن تفتات في رعية ولا تخاطر الّا بوثيقة، وفي يديك مال من مال الله عز وجل، وأنت من خزّانه حتى تسلّمه اليّ (1).

وكتب عليه السلام إلى بعض عماله: وانّ لك في هذه الصدقة نصيباً مفروضاً، وحقاً معلوماً، وشركاء أهل مسكنة وضعفاء ذوي فاقة انّا موفّوك حقك فوفّهم حقوقهم، والّا تفعل فانّك من أكثر الناس خصوماً يوم القيامة، وبؤساً لمن خصمه عند الله الفقراء والمساكين والسائلون والمدفوعون و الغارم وابن السبيل (2)

5 – التوعّد والعقوبة، كتب عليه السلام إلى زياد بن أبيه: «وانّي اقسم بالله قسماً صادقاً، لئن بلغني انّك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً، لأشدّنّ عليك شدّة تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر» (3).

وكتب عليه السلام إلى بعض عماله: «أما بعد، فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتك، بلغني انّك جرّدت الأرض فأخذت ما تحت قدميك، وأكلت ما تحت يديك، فارفع اليّ حسابك واعلم انّ حساب الله أعظم من حساب الناس» (4). 40

1- نهج البلاغة الكتاب رقم 5

2- المصدر نفسه الكتاب رقم 26

3- المصدر نفسه الكتاب رقم: 20

4- المصدر نفسه الكتاب رقم 40

وكتب عليه السلام إلى مصقلة بن هبيرة عامله على أرد شير خُرّة: بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك، وأغضبت إمامك انّك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم، وأريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك من أعراب قومك، فوالذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة، لئن كان ذلك حقّاً لتجدنّ بك عليّ هواناً، ولتخفّنّ عندي ميزاناً، فلا تستهن بحقّ ربّك، ولا تصلح دنياك بمحق دينك، فتكون من الأخسرين أعمالاً. ألا وإنّ حقّ من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء، يردون عندي عليه، يصدرون عنه، والسّلام (1).

وفي عهده لمالك الأشتر: وتحفّظ من الأعوان، فان أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلّة، ووسمته بالخيانة، وقلّدته عار التهمة» (2).

6 – منع الاحتكار في عهده عليه السلام لمالك الأشتر: «واعلم مع ذلك انّ في كثير منهم [أي التجار] ضيقاً فاحشاً، وشحّاً قبيحاً، واحتكاراً للمنافع، وتحكماً في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة، وعيب على الولاة، فامنع من الاحتكار فانّ رسول الله عليه السلام منع منه ... فمن قارف حكرة بعد نهيك ايّاه فنكّل به وعاقب في غير اسراف» (3) 53

1- نهج البلاغة الكتاب رقم 43

2- المصدر نفسه، الكتاب رقم 53

3- المصدر نفسه، الكتاب رقم 53

7 – وضع المـال في موضـعه قـال عليه السـلام: ألا وانّ إعطاء المال في غير حقّه تبـذير و اسـراف، وهو يرفع صاحبه في الـدنيا ويضـعه في الآخرة، ويكرمه في الناس ويهينه عند الله، ولم يضع امرؤ ماله في غير حقّه وعند غير أهله الّا حرمه شكرهم، وكان لغيره ودّهم، فان زلّت به النعل يوماً فاحتاج إلى معونتهم فشر خليل وألأم خدين (1)

8 – الاهتمام بالتنميـة الاقتصادية في عهده عليه السـلام للأشتر: وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في اسـتجلاب الخراج، لانّ ذلك لا يدرك إلّا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلّا قليلاً.

فـإن شـكوا ثقلاً أو علّـة، أو انقطاع شـرب أو بالّـة، أو إحالـة أرض اغتمرها غرق، أو أجحف بها عطش، خفّفت عنهم بما ترجو أن يصـلح به أمرهم، ولا يثقلنّ عليك شـيء خفّفت به المؤونة عنهم، فإنّه ذخر يعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك، مع اسـتجلابك حسن ثنائهم، وتبجّحك باسـتفاضة العـدل فيهم معتمـداً فضل قوّتهم، بما ذخرت عنـدهم من إجمامك لهم، والثّقـة منهم بما عوّدتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم، فربّما حدث من الأمور ما إذا عوّلت فيه عليهم من بعد احتملوه طيّبة أنفسـهم به فإنّ العمران محتمل ما حمّلته، وإنّما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها وإنّما يعوز أهلها لاشراف أنفس 26

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 126

الولاة على الجمع، وسوء ظنّهم بالبقاء، وقلّة انتفاعهم بالعبر (1).

9 – الاهتمام بالتجارة، في عهده عليه السلام للأشتر: واعلم انّ الرعية طبقات لا يصلح بعضها الّا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض ... ولا قوام لهم جميعاً الّا بالتجار و ذوي الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفّق بأيديهم ممّا لا يبلغه رفق غيرهم ... ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيراً: المقيم منهم و المضطرب بماله والمترفّق ببدنه فانّهم مواد المنافع، وأسباب المرافق وجلّابها من المباعد والمطارح في برّك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها، فانّهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تُخشى غائلته، وتفقّد امورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك» (2).

10 – الاهتمام بالفقراء، في عهده عليه السلام للأشتر: «ثمّ الله الله في الطّبقة السّفلى من الّذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزّمنى، فإنّ في هذه الطّبقة قانعاً ومعترّاً، واحفظ لله ما استحفظك من حقّه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلّات صوافي الاسلام في كلّ بلد، فإنّ للأقصى منهم مثل الذي للأدنى، وكلّ قد استرعيت حقّه، فلا يشغلنّك عنهم بطر، فإنّك لا تعذر .

1- نهج البلاغة الكتاب رقم 53.

2- المصدر نفسه الكتاب رقم 53.

بتضييع التّافه لاحكامك الكثير المهمّ.

فلاـ تشـخص همّك عنهم، ولا تصـعّر خـدّك لهم، وتفقّـد أمور من لا يصل إليك منهم ممّن تقتحمه العيون، وتحقره الرّجال، ففرّغ لاولئك ثقتك من أهل الخشية والتّواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثمّ اعمل فيهم بالاعذار إلى الله تعالى يوم تلقاه، فإنّ هؤلاء من بين الرّعيّة أحوج إلى الانصاف من غيرهم وكلّ فأعذر إلى الله تعالى في تأدية حقّه إليه.

وتعهّـد أهل اليتم وذوي الرّقّة في السّنّ ممّن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة ثقيل، والحقّ كلّه ثقيل، وقد يخفّفه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم، ووثقوا بصدق موعود الله

لهم (1)

وفي كتـابه إلى قثم بن العباس عامله على مكـة: «وانظر إلى ما اجتمع عنـدك من مال الله فاصـرفه إلى من قبلك من ذي العيال و المجاعـة، مصيباً به مواضع المفاقر و الخلّات وما فضل عن ذلك فاحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا» (2).

6 - سيرته عليه السلام الحربية:

كان أمير المؤمنين عليه السـلام يعتمد في سـيرته الحربية على علمه اللدنّي الالهي أولاً، وثانياً على تجربته الشخصية، إذ مارس الحرب من بدايات

1- نهج البلاغة الكتاب رقم 53

2- المصدر نفسه، الكتاب رقم 67

حياته الكريمة، وهذا ما صرّح به عليه السلام لما اتّهم بعدم معرفة فنون الحرب نتيجة تقاعس جنوده عن طاعته، فقال: «قاتلكم الله، لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرّعتموني نغب التهمام أنفاساً و أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى قالت قريش: انّ ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله أبوهم وهل أحد منهم أشدّ لها مراساً وأقدم فيها مقاماً منّي، لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين (1)، وها أنا اليوم قد ذرّفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع (2)

وعلى كل حال فانّ سيرته الحربية في نهج البلاغة تعكس فترة حكومته عليه السلام، ولا يتعرّض إلى زمن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم من باب التذكير والتحريض، وفيما يلي بعض معالم سيرته عليه السلام وتخطيطه للحرب:

1 - التحريض على الجهاد، قال عليه السلام: «أما بعد فانّ الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذلّ، وشمله البلاء، 7

1- هكذا في المصادر، ولكن رواه المسعودي: «وما بلغت الثلاثين وصوّبه المحقق التستري في بهج الصباغة، 10: 514 وقال: «والظاهر صحته، فأوّل حروبه عليه السلام الرسمية حرب بدر، وكانت في السنة الثانية من الهجرة وكان عليه السلام وقت البعثة ابن عشر على الأصح، وكان مقام النبي صلى الله عليه و آله و سلم بمكة قبل الهجرة ثلاث عشرة سنة».

2- نهج البلاغة الخطبة رقم: 27

وديّث بالصغار و القماء، وضرب على قلبه بالاسهاب واديل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النصف (1).

وقال عليه السلام: «الجهاد الجهاد عباد الله، ألا وانّي معسكر في يومي هذا، فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج(2).

2 – الاستعداد للقتال، و هو ينقسم إلى استعداد نفسي، واستعداد ظاهري، أما بالنسبة إلى الاستعداد النفسي يقول أمير المؤمنين عليه السلام: تزول الجبال ولا تزُل، عضّ على ناجذك، أعر الله جمجمتك، تد في الأرض قدمك، إرم ببصرك أقصى القوم، وغُضّ بصرك، واعلم أنّ النصر من عند الله سبحانه (3).

وقال عليه السلام: «معاشر المسلمين استشعروا الخشية، و تجلببوا السكينة، وعضّوا على النواجذ، فانّه أنبى للسيوف عن الهام، وأكملوا اللأمة، وقلقلوا السيوف في أغمادها قبل سلّها، و الحظوا الخزر، واطعنوا الشزر، و نافحوا بالضبا، وصلوا السيوف بالخطا، واعلموا انّكم بعين الله ومع ابن عمّ رسول الله (4)

وقال عليه السلام: اذمروا أنفسكم على الطعن الدعسيّ، والضرب 5

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 27

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 182

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 11

4- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 65

الطلحفيّ، وأميتوا الأصوات فانّه أطرد للفشل (1).

و أما بالنسبة إلى الاستعداد الظاهري فقال عليه السلام: «فقدّموا الدارع وأخّروا الحاسر، وعضّوا على الأضراس فانّه أنبى للسيوف عن الهام و التووا في أطراف الرماح فانّه أمور للأسنة، وغضّوا الأبصار فانّه أربط للجاش وأسكن للقلوب وأميتوا الأصوات فانّه أطرد للفشل، ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلّوها، ولا تجعلوها الّا بأيدي شجعانكم والمانعين الذمار منكم، فانّ الصابرين على نزول الحقائق هم الذين يحفّون برياتهم ويكتنفونها حفافيها ووراءها،وأمامها، لا يتأخّرون عنها فيسلموها، ولا يتقدّمون عليها فيفردوها» (2).

وقال عليه السلام لمن بعثهم إلى الحرب: «فإذا نزلتم بعدوّ أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبل الأشراف أو سفاح الجبال، أو أثناء الأنهار كيما يكون لكم ردءاً، ودونكم مردّاً، ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين واجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ومناكب الهضاب لئلّا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن واعلموا انّ مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم، واياكم والتفرّق، فإذا نزلتم فانزلوا جميعاً، وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كفّة ولا تذوقوا النوم الّا غراراً أو مضمضة» (3) 11

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 16

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 124

3- المصدر نفسه، الكتاب رقم: 11

3 – عـدم البـدء بالقتال لاتمام الحجـة، قال عليه السـلام لما أشاروا عليه بالاسـتعداد لحرب الشام: «الرأي مع الأناة، فأرودوا ولا أكره لكم الإعداد» (1).

وقال عليه السـلام لأصـحابه لما اسـتبطؤوا القتال مع أهل الشام: «فوالله ما دفعت الحرب يوماً الّا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفـة فتهتدي بي وتعشوا إلى ضوئي، وذلك أحبّ اليّ من أن أقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء بآثامها» (2).

وقال عليه السلام: إذا طمعنا في خصلة يلمّ الله بها شعثنا، ونتدانى بها إلى البقية بيننا رغبنا فيها وأمسكنا عمّا سواها (3)

4 – عـدم الشـروع بالقتال وطريقة المعاملة مع العدو بعد القتال قال عليه السـلام: «لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم فانّكم بحمد الله على حجة، وتركـكم ايـاهم حتى يبـدأوكم حجـة أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمـة باذن الله فلا تقتلوا مـدبراً، ولا تصـيبوا معوراً، ولا تُجهزوا على جريح و لا تهيجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسبين امراءكم (4).

5 – القاء الحماسة، قال عليه السلام لما استولى أصحاب معاوية على الماء: 14

1– نهج البلاغة الخطبة رقم: 43

2– المصدر نفسه، الخطبة رقم: 54

3– المصدر نفسه، الخطبة رقم: 121

4– المصدر نفسه، الكتاب رقم 14

قد استطعموكم القتال، فأقرّوا على مذلة وتأخير محلّة، أو روّوا السيوف من الدماء تروووا من الماء، فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين (1).

و قال عليه السلام في حضّ أصحابه على القتال: «أنتم لهاميم العرب، و السنام الأعظم (2).

و قال عليه السلام: ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقضت، و إلى أمصاركم قد افتتحت، وإلى ممالككم تُزوى، وإلى بلادكم تُغزى انفروا رحمكم الله إلى قتال عدوّكم، ولا تثاقلوا إلى الأرض فتقرّوا بالخسف وتبوؤا بالذل، ويكون نصيبكم الأخس وانّ أخا الحرب الأرق، ومن نام لم ينم عنه (3).

6 - مساعدة باقي الجنود عند رؤية الفشل منهم، قال عليه السلام: «وأيّ امرئ منكم أحس من نفسه رباطة جأش عند اللقاء، ورأى من أحد من اخوانه فشلاً، فليذبب عن أخيه بفضل نجدته التي فُضّل بها عليه كما يذبّ عنه نفسه، فلو شاء الله لجعله مثله» (4).

و قال عليه السلام: «أجزأ امرؤ قرنه وآسى أخاه بنفسه، ولم يكل قرنه إلى 2

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 51

2- المصدر نفسه الخطبة رقم 124

3- المصدر نفسه الكتاب رقم 62

4- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 122

أخيه فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه» (1)

7 – التهديد و التوعد، كتب عليه السلام إلى معاوية: «و عندي السيف الذي أعضضته بجدك و خالك وأخيك في مقام واحد» (2).

وكتب عليه السلام إلى أهل البصرة ولئن ألجأتموني إلى المسير إليكم، لا وقعنّ بكم وقعة لا يكون يوم الجمل إليها إلّا كلعقة لاعق» (3).

وكتب عليه السلام إلى معاوية: «أنا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان شديد زحامهم، ساطع قتامهم، متسربلين سرابيل الموت أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم قد صحبتهم

ذرية بدرية، وسيوف هاشمية قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك وماهي من الظالمين ببعيد (4)

وكتب عليه السلام إليه أيضاً: فأنا أبو حسن قاتل جدك وخالك وأخيك شدخاً يوم بدر، وذلك السيف معي وبذلك القلب ألقى عدوي» (5)

8 – الاستقامة في القتال، قال عليه السلام وهو يصف استقامة أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في القتال: «ولقد كنّا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا ما يزيدنا ذلك إلّا إيماناً وتسليماً، ومضيّاً 0

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 124.

2- المصدر نفسه، الكتاب رقم 64.

3- المصدر نفسه الكتاب رقم: 29

4- المصدر نفسه، الكتاب رقم 28

5- المصدر نفسه الكتاب رقم: 10

على اللّقم، وصبراً على مضض الألم، وجدّاً على جهاد العدوّ، ولقد كان الرّجل منّا والآخر من عدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما، أيّهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرّة لنا من عدوّنا، ومرّة لعدوّنا منّا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت وأنزل علينا النّصر، حتّى استقرّ الاسلام ملقياً جرانه ومتبوّئاً أوطانه، ولعمري لو كنّا نأتي ما أتيتم ما قام للدّين عمود، ولا اخضرّ للايمان عود، وأيم الله لتحتلبنّها دماً، ولتتبعنّها ندماً!» (1)

وقال عليه السلام أيضاً: «فلقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وانّ القتل ليدور بين الآباء والأبناء والإخوان والقرابات فما نزداد على كل مصيبة وشدة إلا ايماناً ومضياً على الحق، وتسليماً للأمر، وصبراً على مضض الجراح» (2). :

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 55.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم:

6 - علي عليه السلام و البغاة

1 - حكم البغاة

قال تعالى في محكم كتابه «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» (1).

انطلاقاً من هـذه الآية ومن سـيرة أمير المؤمنين عليه السـلام يعرف حكم البغاة في وجوب الإصـلاح أولاً، والقتال عند عدم الصـلاح ثانياً، وهذا متفق عليه لا خلاف فيه.

وإنّمـا وقع الخلاـف في حكم البغاة، هل أنّهم يـدخلون ببغيهم في الكفر أو الفسق او أنّهم متأولون لا كفار ولا فساق، ذهبت الإماميـة إلى الأول والمعتزلة إلى الثاني وقاطبة أهل السنة إلى الثالث.

واستدل أهل السنة بهذه الآية على مدعاهم حيث ان الله تعالى وصف الطائفتين بالإيمان، ولكن أجاب الشيخ الطوسي @ عن هذا

1- الحجرات 9

الإشكال قائلاً: «لا يدل على أنّهما إذا اقتتلا بقيا على الإيمان، ويطلق عليهما هذا الاسم، بل لا يمتنع أن يفسق أحد الطائفتين أو يفسقا جميعاً، وجرى ذلك مجرى أن تقول: وإن طائفتان من المؤمنين ارتدت عن الإسلام فاقتلوها (1).

وأما المعتزلة مذهبهم في البغاة تابع لقولهم في أصحاب الكبيرة من انّة لا مؤمن ولا كافر.

وأما الإمامية فقد استدلّوا بعدة أدلّة على الحكم بكفرهم إذا لم يتوبوا ولم يتداركوا ما فات قال الشيخ الطوسي @ في تلخيص الشافي: عندنا انّ من حارب أمير المؤمنين عليه السلام وضرب وجهه ووجه أصحابه بالسيف كافر، والدليل المعتمد في ذلك إجماع الفرقة المحقة من الإمامية على ذلك، فانّهم لا يختلفون في هذه المسألة على حال من الأحوال.

وأيضاً فنحن نعلم انّ من حاربه كان منكراً لإمامته ودافعاً لها، ودفع الإمامة كفر، كما انّ دفع النبوة كفر، لانّ الجهل بهما على حد واحد. وقد روي عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم: أنّه قال: من مات وهو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية وميتة الجاهلية لا تكون الّا على كفر. وأيضاً روي عنه صلى الله عليه و آله و سلم انه قال: «حربك ياعلي حربي وسلمك سلمي».

ومعلوم أنّه عليه السلام إنّما أراد انّ أحكام حربك تماثل أحكام حربي، ولم يرد الله من إحدى الحربين هي الأخرى، لأن المعلوم ضرورة 6

1- التبيان للطوسي 9: 346

خلاف ذلك، وإذا كان حرب النبي صلى الله عليه و آله و سلم كفراً وجب مثل ذلك في حرب أمير المؤمنين عليه السلام، لأنّه جعله مثل حربه.

ويدل على ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ونحن نعلم أنّه لا تجب عداوة أحد بالإطلاق الّا عداوة الكفار. وأيضاً: فنحن نعلم انّ من كان يقاتله يستحلّ دمه ويتقرّب إلى الله بذلك، واستحلال دم امرئ مسلم كفر بالإجماع، وهو أعظم من استحلال جرعة من الخمر الذي هو كفر بالاتفاق.

فإن قيل: لو كانوا كفاراً لوجب أن يسير فيهم بسيرة الكفار، فيتبع موليهم، ويجهز على جريحهم وتسبى ذراريهم فلما لم يفعل ذلك دلّ على أنّهم لم يكونوا كفاراً.

قلنا: لا يجب بالتساوي في الكفر التساوي في جميع أحكامه، لأنّ أحكام الكفر مختلفة: فحكم الحربي خلاف حكم الذمي، وحكم أهل الكتاب خلاف من لا كتاب له من عبّاد الأصنام، فانّ أهل الكتاب تؤخذ منهم الجزية ويقرّون على أديانهم، ولا يفعل ذلك بعبّاد الأصنام. وعند من خالفنا من الفقهاء يجوز التزوج من أهل الذمة وإن لم يجز ذلك إلى غيرهم. وحكم المرتد بخلاف حكم الجميع، و إذا كان حكم الكفر مختلفاً مع الاتفاق في كونه كفراً، لا يمتنع أن يكون من محاربه عليه السلام كافراً، وإن سار فيهم بخلاف أحكام الكفار، وفعله عليه السلام حجة في الشرع بما ثبت من إمامته وعصمته، فيجب أن تكون سيرته فيهم هو الذي يجب العمل به والاعتقاد بصحته. وقد استوفينا الكلام في هذه المسألة فيما

تقدم حيث استدلوا بقوله تعالى: (تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ...) (1) على إمامة أبي بكر، فلا وجه لاعادته» (2)

وقد قال الشيخ المفيد رحمه الله بعد تبيين الآراء المختلفة عند المذاهب الإسلامية في حكمهم وأجمعت الشيعة على الحكم بكفر محاربي أمير المؤمنين عليه السلام ولكنّهم لم يخرجوهم بذلك عن حكم ملّة الإسلام، إذ كان كفرهم من طريق التأويل كفر ملّة ولم يكن كفر ردّة عن الشرع مع اقامتهم على الجملة منه واظهار الشهادتين والاعتصام بذلك عن كفر الردّة المخرج عن الإسلام، وإن كانوا بكفرهم خارجين عن الايمان مستحقين به اللعنة والخلود في النار (3).

ولو رجعنا إلى نهج البلاغة لرأينا انّ موقف أمير المؤمنين عليه السلام مع البغاة يتلخص في النقاط التالية:

1 – النصيحة، وهذا ما حدث لأصحاب الجمل والنهروان وأصحاب معاوية، وقد مضى شطر منه في سيرته عليه السلام الحربية.

2 – ضرورة قتالهم، قال عليه السلام: وقد قلبت هذا الأمر بطنه وظهره حتى منعني النوم، فما وجدتني يسعني إلّا قتالهم أو الجحود بما جاء محمد صلى الله عليه و آله و سلم، فكانت معالجة القتال أهون عليّ من معالجة العقاب .

1- الفتح: 16

2- تلخيص الشافي للطوسي 4: 131 – 133.

3- كتاب الجمل: 70.

وموتات الدنيا أهون عليّ من موتات الآخرة (1)

وقال عليه السلام: ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه، وقلّبت ظهره وبطنه، فلم أر لي إلّا القتال أو الكفر بما جاء محمد صلى الله عليه و آله و سلم (2)

وكتب عليه السلام إلى أخيه عقيل: وأما ما سألت عنه من رأيي في القتال، فانّ رأيي قتال المحلّين حتى ألقى الله، لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة، ولا تفرّقهم عنّي وحشة» (3)

وقال عليه السلام في ذكر أصحاب الجمل: فقدموا على عاملي بها [أي بالبصرة] وخزّان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها، فقتلوا طائفة صبراً وطائفة غدراً، فو الله لو لم يصيبوا من المسلمين إلّا رجلاً واحداً معتمدين لقتله بلا جرم جرّه لحلّ لي قتل ذلك الجيش كله، إذ حضروه فلم ينكروا، ولم يدفعوا عنه بلسان ولا يد دع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة التي دخلوا بها عليهم (4)

3 - لزوم البصيرة، قال عليه السلام: «قد فُتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة، ولا يحمل هذا العلم إلا أهل البصر والصبر والعلم بمواضع الحق فامضوا لما تؤمرون به وقفوا عند ما تُنهون عنه، ولا تعجلوا في .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 53.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 43

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم 36

4- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 172.

أمر حتى تبيّنوا، فانّ لنا مع كل أمر تنكرونه غيراً» (1).

ولذا لما شك بعض من معه وسأله عن أصحاب الجمل هل كانوا على ضلالة، قال عليه السلام: انّك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت انك لم تعرف الحق فتعرف من أباه، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه» (2).

وكتب عليه السلام إلى أهل مصر: وانّي من ضلالهم الذي هم فيه، و الهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربي (3)

وكتب عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري: «والله انّه لحق مع محق، وما أبالي ما صنع الملحدون» (4)

4 - الفتنة، قال عليه السلام بعد ما ذكر بعثة النبي صلى الله عليه و آله و سلم وسابقته في نصرته: «وانّ مسيري هذا لمثلها، فلأنقبنّ الباطل حتى يخرج الحق من جنبه مالي وقريش والله لقد قاتلتهم كافرين، ولأقاتلنّهم مفتونين، وانّي لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم (5).

وقال عليه السلام: «أما بعد أيها الناس فأنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن 33

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 173.

2- المصدر نفسه، قصار الحكم: 253.

3- المصدر نفسه الكتاب رقم 62.

4- المصدر نفسه، الكتاب رقم 63.

5- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 33

ليجترئ عليها أحد غيري بعد ما ماج غيهبها، واشتد كلبها (1).

وكتب عليه السلام إلى أهل الكوفة واعلموا انّ دار الهجرة قد قلعت بأهلها ... وقامت الفتنة على القطب» (2).

وكتب عليه السلام إلى معاوية: ففرّق بيننا وبينكم أمس أنّا آمنا وكفرتم واليوم أنّا استقمنا وفتنتم. (3)

أقول: هـذا لا ينافي اجماع الإماميـة على تكفير الباغي على الإمام عليه السـلام انا ما لـم يتب ويتـدارك ما فات منه، لأنّ المفتون معنى عاماً يشمل كل من افتتن سواء كَفَرَ أو ارتدّ أو فسق أو أذنب، وعدم إجراء أحكام الكفار عليهم لا يضرّنا إذ نعتقد انّ أحكام الكفار تختلف كما قال الشـيخ الطوسـي: أحكام الكفر مختلفـة كحكم الحربي والمعاهد والذمي والوثني فمنهم من تقبل منهم الجزية ويقرون على دينهم، ومنهم من لاـ تقبـل، ومنهم من يناكـح وتؤكل ذبيحته ومنهم لا تؤكل عنـد المخالف، ولا يمتنع أن يكون من كان متظاهراً بالشـهادتين وإن حكم بكفره حكمه مخالف لأحكام الكفار، كما تقول المعتزلة في المجبرة والمشبّهة وغيرهم من الفرق الذين يحكمون بكفرهم، وإن لم تجر هذه الأحكام عليهم (4) 6

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 92

2- المصدر نفسه، الكتاب رقم: 1

3- المصدر نفسه الكتاب رقم 64

4- الاقتصاد للطوسي: 226

ثم انّ كلامـ أمير المؤمنين عليه السـلام يفسّـر بعضه بعضاً، فلو رجعنا إلى بعض مقاطع كلامه لرأيناه يقول: « ... و انّ مسـيري هـذا لمثلها يشـير عليه السـلام إلى انّ حربه مع البغاة كحربه الكفار في زمن النبي صلى الله عليه و آله و سلم، وقال عليه السلام في مكان آخر: واعلموا انّكم صـرتم بعد الهجرة أعراباً. وبعد الموالاة أحزاباً ما تتعلّقون من الإسـلام الّا باسـمه ولا تعرفون من الإيمان الّا رسـمه، تقولون: النار ولا العار كأنّكم تريدون أن تكفؤوا الإسلام على وجهه انتهاكاً لحريمه ونقضاً لميثاقه» (1).

فوصـفهم عليه السـلام بالتعرب بعد الهجرة ومحاولة هدم الإسـلام وانتهاك حرمته ونقض ميثاقه، وقال عليه السلام: «فانّهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قبلي (2). ومعلوم ما هو حكم المحاربة مع النبي صلى الله عليه و آله و سلم، وقد سبق عنه صلى الله عليه و آله و سلم لعليّ: «حربك حربي

وممّا وصفهم عليه السلام أيضاً: ولعمري ما عليّ من قتال من خالف الحق وخابط الغي من إدمان ولا إيهان (3)

وقـال عليه السـلام: اسـتعدوا للمسـير إلى قوم حيـارى عن الحق لاـ يبصـرونه، وموزعين بالجور لا يعـدلون به جفاة عن الكتاب، نكّب عن الطريق» (4). .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 192.

2- المصدر نفسه، الكتاب رقم 36.

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم 24

4- المصدر نفسه الخطبة رقم 125.

وقال عليه السلام: حاول القوم إطفاء نور الله من مصباحه، وسدّ فواره من ينبوعه (1)

وقال عليه السلام: انّ الشيطان اليوم قد استفلّهم، وهو غداً متبرئ منهم ومخل عنهم، فحسبهم بخروجهم من الهدى وارتكاسهم في الضلال والعمى، وصدّهم عن الحق، وجماحهم في التيه (2).

وقال عليه السلام: ألا وقد قطعتم قيد الإسلام» وعطلتم حدوده وأمتم أحكامه» (3)

وقال عليه السلام: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسرّوا الكفر، فلما وجدوا أعواناً عليه أظهروه (4).

وكتب عليه السلام إلى معاوية: أما قولك ان الحرب قد أكلت العرب الّا حشاشات أنفس بقيت فمن أكله الحق فإلى النار ... ولا المحق كالمبطل ولا المؤمن كالمدغل ولبئس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم (5)

وكتب عليه السلام إليه أيضاً: فقد أجريت إلى غاية خسر، ومحلة كفر، 7

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 162

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 181

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 192

4- المصدر نفسه الكتاب رقم 16

5- المصدر نفسه الكتاب رقم 17

وانّ نفسك قد أوحلتك شرّاً، وأقحمتك غياً، وأوردتك المهالك، وأوعرت عليك المسالك (1).

وكتب عليه السلام إلى أهل الأمصار بعد وقعة صفين: « ... ومن لجّ وتمادى، فهو الراكس الذي ران الله على قلبه وصارت دائرة السوء على رأسه» (2).

ألا تدلّ هذه الأوصاف كلها على الحكم بكفر القوم ولو تنزلنا وسلّمنا بعدم كفرهم، ولكن هل نشك في أنّهم من أهل النار وهذا يكفي في الحكم بضلالهم واعوجاجهم عن الحق، ويلزم علينا التبرؤ منهم وعدم تولّيهم ما لم تثبت توبتهم، وانّ توبة كل عمل بحسبه، فمن أضل لمة من الناس وكان السبب في اغوائهم وعدولهم عن جادة الحق، لا يمكن الاكتفاء في توبته بالندم والاستغفار باللسان مالم يعترف بالخطأ والضلال ويرشد الذين أغواهم ويمنعهم عن ضلالهم.

وهناك نص آخر حاول ابن أبي الحديد تفسيره بما يدعم معتقده في البغاة، وهو ما نقله علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من قوله: «يا عليّ انّ القوم سيفتنون بأموالهم، ويمنّون بدينهم على ربهم، ويتمنون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلّون حرامه بالشبهات الكاذبة، والأهواء الساهية، فيستحلّون الخمر بالنبيذ، والسحت بالهدية، والربا بالبيع» قال 8

1- نهج البلاغة الكتاب رقم 30

2- المصدر نفسه الكتاب رقم 58

أمير المؤمنين عليه السلام: قلت: يارسول الله فبأي المنازل أُنزلهم عند ذلك، أبمنزلة ردّة أم بمنزلة فتنة؟ فقال: بمنزلة فتنة».

فهـذا النص لا يدل من قريب ولا من بعيد على حكم البغاة، بل إنّما يشـرح حال المفتتن بالدنيا وزخارفها ما لم يصل به الأمر إلى الارتداد وانكار ضـروريات الدين، ولذا قال صلى الله عليه و آله و سلم: «ان القوم سيفتنون بأموالهم ولم يقل يرتدون وقضية البغي على الإمام الحق قضية سياسية اجتماعية.

5 – القتال، قال عليه السـلام: انّ هؤلاء قد تمالأوا على سـخطة إمارتي، وسأصبر مالم أخف على جماعتكم، فانّهم إن تمموا على فيالة هذا الرأي انقطع نظام المسلمين (1)

وقال عليه السلام: «أيها الناس انّ أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه، فإن شغب شاغب استعتب فان أبى قوتل (2).

وقـال عليه السـلام: «انّمـا الشورى للمهـاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسـمّوه إماماً كان ذلك لله رضـىّ، فان خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، و ولّاه الله ما تولّى»(3) 6

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 169

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 173

3- المصدر نفسه الكتاب رقم 6

وقال عليه السلام: «ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض، فأما الناكثون فقد قاتلت وأما القاسطون فقد جاهدت، وأمّا المارقة فقد دوخت وأمّا شيطان الردهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة قلبه ورجة صدره وبقيت بقية من أهل البغي، ولئن أذن الله في الكرة عليهم لاديلنّ منهم الّا ما يتشذّر في أطراف الأرض تشذّراً» (1).

6 - وأخيراً يذكر الإمام عليه السلام انّ سبب بغي هؤلاء كان الشيطان، وحب الدنيا، والحسد، قال عليه السلام: «فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وفسق آخرون كأنّهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: (تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (2) بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنّهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها» (3).

وقال عليه السلام: ألا وانّ الشيطان قد ذمّر حزبه، واستجلب جلبه ليعود الجور إلى أوطانه، ويرجع الباطل إلى نصابه» (4)

وقال عليه السلام: «انّ هؤلاء تمالأ وا على سخطة امارتي ... وانّما طلبوا 22

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 192

2- القصص: 83

3- نهج البلاغة الخطبة رقم 3

4- المصدر نفسه الخطبة رقم 22

هذه الدنيا حسداً لمن أفاءها الله عليه، فأرادوا ردّ الامور على أدبارها» (1).

2 - أصحاب الجمل:

بعدما تمت البيعة لعلي عليه السلام بدأ المتضرّرون منها بالتخطيط لنقضها وعدم استحكام أمرها، ولكل منهم دليله.

أما عائشة فكانت تريد الأمر لطلحة أو للزبير، ولما علمت بقتل عثمان خرجت من مكة متوجهة إلى المدينة لكنها لما سمعت ببيعة الناس لعلي عليه السلام رجعت إلى مكة وأظهرت انّ عثمان قتل مظلوماً، وليس ذلك الّا لما كانت تحمله من أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا ما أشار إليه بقوله: وأما فلانة فأدركها رأي النساء وضغن غلا في صدرها كمرجل القين، ولو دعيت لتنال من غيري ما أتت اليّ لم تفعل (2)

أما عمّال عثمان وشيعته فهربوا بالأموال التي كانت بحوزتهم خوفاً من عدل عليّ عليه السلام، إذ هو الذي حلف بالله تعالى انّ يرد قطائع عثمان وقال: والله لو وجدته تزوّج به النساء، وملك به الاماء لرددته» (3). مضافاً إلى المظالم التي كانت في رقابهم، فلاذوا بالبيت وبأُم المؤمنين لعلمهم من ذي قبل بمخالفتها لعليّ عليه السلام.

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 169

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم 156

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم 15

وأما طلحـة والزبير فانّهما وإن كانا من أول المبايعين لعلى عليه السـلام كما قال: «أما بعـد فقـد علمتما وإن كتمتما انّي لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى بايعوني وانّكما ممن أرادني وبايعني. (1)

ولكن كانا – بعـد ما صـرف الأمر عنهما – يطمعان أن يكون لهما شأن خاص في حكومـة علي عليه السـلام، لذا اشترطا عليه قبل البيعة أن يكونا شركاؤه في الأمر، فقال لهما عليه السلام: «لا، لكنكما شريكان في القوة والاستعانة، وعونان على العجز والأود. (2)

ولمـا عتبـا على أمير المؤمنين عليه السـلام بترك مشورتهمـا في الأمور والمساواة في توزيع بيت المال، قال عليه السـلام في الجواب: «لقد نقمتما يسـيراً، وأرجأتما كثيراً، ألا تخبراني أيّ شـيء لكما فيه حقّ دفعتكما عنه؟ وأيّ قسم استأثرت عليكما به؟ أم أيّ حقّ رفعه إليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته، أم أخطأت بابه؟!

والله ما كانت لي في الخلافـة رغبـة، ولا في الولاية إربة، ولكنّكم دعوتموني إليها، وحملتموني عليها، فلمّا أفضت إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا، وأمرنا بالحكم به،فاتّبعته وما استسنّ النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم فاقتديته فلم أحتج في ذلك إلى رأيكما، ولا رأي غيركما، ولا وقع حكم جهلته، فأستشيركما وإخواني من المسلمين؛ ولو كان ذلك لم أرغب عنكما، ولا .

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 54

2- المصدر نفسه، قصار الحكم: 192.

عن غيركما.

وأمّا ما ذكرتما من أمر الاسوة، فإنّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي ولا وليته هوىً منّي، بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد فرغ منه فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ الله من قسمه، وأمضى فيه حكمه، فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا عتبي. أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ، وألهمنا وإيّاكم الصّبر (1).

ثم انّهما بعد اليأس من عليّ عليه السلام بدءا بالتخطيط لنقض العهد ونكث البيعة، فادعيا أولاً أنّهما أكرها وأُجبرا على البيعة، فكتب إليهما أمير المؤمنين عليه السلام: فان كنتما بايعتماني طائعين، فارجعا وتوبا إلى الله من قريب، وإن كنتما بايعتماني كارهين، فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهار كما الطاعة واسراركما المعصية، ولعمري ماكنتما بأحق المهاجرين بالتقية والكتمان وانّ دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلا فيه، كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد إقراركما» (2).

وقال عليه السلام في الزبير: يزعم أنّه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه، فقد أقرّ بالبيعة وادّعى الوليجة، فليأت عليها بأمر يُعرف والّا فليدخل فيما خرج منه (3) .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 205.

2- المصدر نفسه الكتاب رقم 54

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 8.

ثم أنّهما بعد ما علما بموقف،عائشة، ورفعها شعار المخالفة لعلي عليه السلام والدفاع عن الخليفة المقتول، اتخذا سياسة اتهام علي عليه السلام بقتل عثمان، وفي ذلك يقول عليه السلام: «وانّهم ليطلبون حقاً هم تركوه، ودماً هم سفكوه فان كنت شريكهم فيه فانّ لهم نصيبهم منه، وإن كانوا ولوه دوني فما الطلبة الّا قبلهم، وانّ أول عدلهم للحكم على أنفسهم (1)

وكتب إليهما أيضاً: وقد زعمتما انّي قتلت عثمان، فبيني وبينكما من تخلّف عنّي وعنكما من أهل المدينة، ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل» (2).

وهذا الادعاء كان خدعة منهما للناس وتبريراً لنقض البيعة، ومن جانب آخر التخلّص من متابعة ومعاتبة أنصار عثمان واستجلاب قلوبهم، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في نقض هذا الادعاء وهو يشير إلى طلحة: والله ما استعجل متجرداً للطلب بدم عثمان الّا خوفاً من أن يطالب بدمه لأنّه مظنته، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه ليلتبس الأمر ويقع الشّكّ. ووالله ما صنع في أمر عثمان واحدةً من ثلاث: لئن كان ابن عفّان ظالماً – كما كان يزعم – – لقد كان ينبغي له أن يوازر قاتليه وأن ينابذ ناصريه، ولئن كان مظلوماً لقد 54

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 137

2- المصدر نفسه، الكتاب رقم 54

كان ينبغي له أن يكون من المنهنهين عنه والمعـذّرين فيه، ولئن كان شكّ في من الخصـلتين، لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركد جانباً ويدع النّاس معه، فما فعل واحدةً من الثلاث، وجاء بأمر لم يعرف بابه، ولم تسلم معاذيره (1).

ثم انّ هناك بعض الأسـباب الاخر لنكث البيعة، أشار إليها أمير المؤمنين عليه السـلام في ضـمن كلامه عن أصـحاب الجمل، منها الحسد فقد قال: وانّما طلبوا هذه الدنيا حسداً لمن أفاءها الله عليه، فأرادوا ردّ هذه الأمور على أدبارها (2).

وقال عليه السلام في عائشة: وأما فلانة فأدركها رأي النساء وضغن غلا في صدرها كمرجل القين (3)

ومنه التنافس على الدنيا، فقد قال عليه السلام: «فلمّا نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت اخرى وفسق آخرون كأنّهم لم يسمعوا الله سبحانه يقول: (تِلْكَ الـدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيـدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (4) بلى والله لقـد سـمعوها و وعوها، ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها (5) .

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 174.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 169.

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 156.

4- القصص: 83.

5- نهج البلاغة الخطبة رقم 3.

وقد ذكر الشيخ المفيد @ انّ طلحة والزبير لما غلبا على بيت مال البصرة احتملا منه شيئاً كثيراً (1).

وهـذا التنافس والتكالب على الـدنيا كان يتبلور أكثر حينما تصـطدم المصالح فيبدأ النزاع بين شـيوخ القوم، وعلى سبيل المثال ذكر الشـيخ المفيـد: «انّ القوم لما سـيطروا على البصـرة وحان وقت الصـلاة، رام طلحـة أن يتقدم للصـلاة بهم فدفعه الزبير وأراد أن يصـلّي بهم فمنعه طلحة، فما زالا يتدافعان حتى كادت الشمس أن تطلع، فنادى أهل البصرة: الله الله يا أصحاب رسول الله في الصلاة نخاف فوتها ...» (2)

وفي حادثـة أخرى يرويها الشـيخ المفيـد أيضاً: «انّ القوم لما أخـذوا من بيت مال البصـرة ما شاؤوا أمرت عائشـة بختمه، فبرز لـذلك طلحة ليختمه فمنعه الزبير، وأراد أن يختمه الزبير دونه فتـدافعا، فبلغ عائشـة ذلـك فقالت: يختمانه ويختم عنّي ابن أختي عبـد الله بن الزبير، فختم يومئذ بثلاثة ختوم (3)

وهذا ما تنبأ به أمير المؤمنين عليه السـلام حيث قال: «كل واحد منهما يرجو الأمر له ويعطفه عليه دون صاحبه لا يمتان إلى الله بحبل، ولا يمدّان إليه بسبب كل واحد منهما حامل ضبّ لصاحبه، وعمّا قليل .

1- الجمل للمفيد: 284.

2- المصدر نفسه: 281 - 282.

3- المصدر نفسه: 284.

يُكشف قناعه به و الله لئن أصابوا الذي يريدون لينتزعنّ هذا نفس هذا، وليأتينّ هذا على هذا» (1)

فهؤلاء القوم بهذه النوايا ساروا إلى البصرة، وقتلوا من قتلوا وأخذوا من بيت المال ما شاؤوا، وفي ذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام: فخرجوا يجرون حرمة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كما تجر الأمة عند شرائها، متوجّهين بها إلى البصرة فحبسا نساءهما في بيوتهما، وأبرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لهما ولغيرهما، في جيش ما منهم رجل إلّا وقد أعطاني الطّاعة، سمح لي بالبيعة طائعاً غير مكره، فقدموا على عاملي بها وخزّان بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها، فقتلوا طائفةً صبراً، وطائفةً غدراً. فوالله لو لم يصيبوا من المسلمين إلّا رجلاً واحداً معتمدين لقتله، بلا جرم جرّه، لحلّ لي قتل ذلك الجيش كلّه، إذ حضروه فلم ينكروا، ولم يدفعوا عنه بلسان ولا يد. دع ما أنّهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة التي دخلوا بها عليهم!» (2).

وقال عليه السلام: فقدموا على عمّالي وخزّان بيت مال المسلمين الذي في يديّ، وعلى أهل مصر كلّهم في طاعتي وعلى بيعتي، فشتّتوا كلمتهم، وأفسدوا عليّ جماعتهم، ووثبوا على شيعتي، فقتلوا طائفةً منهم غدراً، وطائفة عضّوا على أسيافهم، فضاربوا بها حتّى لقوا الله 2

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 148

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 172

صادقين» (1).

وكان موقف أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفتنة الظلماء أولاً: التأني والتؤدة حيث قال: «وسأصبر مالم أخف على جماعتكم، فانّهم إن تمموا على فيالة هذا الرأي انقطع نظام المسلمين (2)

و ثانياً: النصيحة، حيث ذكّر أمير المؤمنين عليه السلام طلحة والزبير ببيعتهما له ولزوم الوفاء بها ثم قوله لهما فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما، فانّ الآن أعظم أمركما العار من قبل أن يجتمع العار والنار (3) كما أنّه عليه السلام لما أرسل ابن عباس قبل الحرب إلى الزبير ليستفيئه إلى طاعته قال له: «لا تلقينّ طلحة، فانّك إن تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه يركب الصعب ويقول هو الذلول، ولكن الق الزبير فانّه ألين عريكة فقل له: يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق، فما عدا ممّا بدا» (4).

وثالثاً: عند عدم الاصغاء إلى النصيحة و الاصرار على الضلال الدعاء عليهما والقتال، قال عليه السلام: «اللهم أنّهما قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي، وألّبا الناس عليّ، فاحلل ما عقدا، ولا تحكم ما أبرما، وأرهما المساءة فيما أمّلا وعملا ولقد استثبتهما قبل القتال، واستأنيت 1

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 217

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 169

3- المصدر نفسه، الكتاب رقم 54

4- المصدر نفسه الخطبة رقم: 31

بهما أمام الوقاع، فغمط النعمة، وردّا العافية (1).

وكتب عليه السلام إلى أهل الكوفة: واعلموا انّ دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها، وجاشت جيش المرجل، وقامت الفتنة على القطب، فأسرعوا إلى أميركم وبادروا جهاد عدوكم إن شاء الله (2).

ولقد انتهت هذه المعركة بمقتل قادتها سوى عائشة، ولما مرّ أمير المؤمنين عليه السلام بطلحة وهو قتيل قال: لقد أصبح أبو محمد بهذا المكان غريباً، أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب، أدركت وتري من بني عبد مناف وأفلتني أعيان بني جمح، لقد أتلعوا أعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهله فوقصوا دونه (3)

ولكن بانتهائها لم تنته الفتنة، إذ انّ الشيطان وجد مرتعاً خصباً، فبدأ بالوسوسة في الصدور قبل المعركة وبعدها وقد أصيب الحارث بن حوط بسهامه، فجاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال: أتراني أظنّ أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟ فقال عليه السلام: يا حار انّك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت، انّك لم تعرف الحق فتعرف من أباه، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه فقال الحارث: فانّي أعتزل مع سعيد بن مالك وعبد الله بن عمر، فقال عليه السلام: انّ سعيداً وعبد الله بن عمر لم ينصرا 8

1- نهج نهج البلاغة الخطبة رقم: 137

2- المصدر نفسه الكتاب رقم 1

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 218

الحق ولم يخذلا الباطل (1)

لذا كان أمير المؤمنين عليه السلام يراقب الأوضاع سيما في البصرة، فقد كتب إليهم يتوعدهم: وقد كان من انتشار حبلكم و شقاقكم مالم تغبوا عنه فعفوت عن مجرمكم، ورفعت السيف عن مدبركم و قبلت من مقبلكم، فان خطت بكم الأمور المردية، وسفه الآراء الجائرة إلى منابذتي وخلافي، فها أنا ذا قد قرّبت جيادي ورحلت ركابي، ولئن ألجأتموني إلى المسير اليكم لأوقعنّ بكم وقعة لا يكون يوم الجمل إليها الّا كلعقة لاعق (2).

3 - أصحاب صفين:

انّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يعرف معاوية حق المعرفة، ويعلم نواياه وسوء سريرته، وقد كتب إلى زياد بن أبيه يحذّر من خدعه وكيده ويقول: «انّما هو الشيطان يأتي المرء من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله ليقتحم غفلته، ويستلب غرّته» (3).

وقال عليه السلام لمعاوية: وانّك لذهّاب في التيه، روّاغ عن القصد (4).

1- نهج البلاغة، قصار الحكم: 253.

2- المصدر نفسه الكتاب رقم 29

3- المصدر نفسه، الكتاب رقم 44

4- المصدر نفسه الكتاب رقم 28

وقال عليه السلام في مكان آخر: ما معاوية بأدهى منّي، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس ولكن كل غدرة فجرة، وكل فجرة كفرة، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة. (1)

وكتب له أيضاً: انّك مترف قد أخذ الشيطان منك مأخذه، وبلغ فيك أمله، وجرى منك مجرى الروح والدم (2) انّ الله سبحانه ابتلى أمير المؤمنين عليه السلام بمعاوية، وهذا ما صرّح به عليه السلام في كتاب كتبه إلى معاوية يقول فيه: أما بعد فانّ الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها، ليعلم أيّهم أحسن عملاً، ولسنا للدنيا خلقنا، ولا بالسعي فيها أُمرنا، وانّما وضعنا فيها لنبتلى بها، وقد ابتلاني الله بك وابتلاك بي، فجعل أحدنا حجة على الآخر.(3)

وكتب عليه السلام أيضاً: «فيا عجباً للدهر إذ صرت يُقرن بي من لم يسع بقدمي، ولم تكن له كسابقتي التي لا يدلى أحد بمثلها» (4).

ولذا لم يرض بإبقائه على الشام و كتب إليه: «من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد فقد علمت إعذاري فيكم وإعراضي عنكم حتى كان ما لابد منه ولا دفع له، والحديث طويل والكلام كثير، وقد أدبر ما أدبر وأقبل ما أقبل، فبايع من قبلك، .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 200.

2- المصدر نفسه الكتاب رقم 10.

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 55

4- المصدر نفسه الكتاب رقم 9.

وأقبل اليّ في وفدٍ من أصحابك» (1).

ولمّا تأخّر كتب عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلي وقد أرسله إليه: وأما بعد فإذا أتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل، وخذه بالأمر الجزم، ثم خيّره بين حرب مجلية أو سلم مخزية، فان اختار الحرب فانبذ إليه، وإن اختار السّلم فخذ بيعته» (2).

ولكن معاوية أبى وكان يريد البقاء على الشام، و هذا ما رفضه أمير المؤمنين عليه السلام بتاتاً وكتب له وحاش لله أن تلي للمسلمين بعدي صدراً أو ورداً، أو أُجري لك على أحدٍ منهم عقداً أو عهداً» (3).

وكتب إليه مرة أخرى: وأما طلبك اليّ الشام، فانّي لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس» (4)

كانت فترة انشغال أمير المؤمنين عليه السلام بأصحاب الجمل، فرصة ذهبية لمعاوية لتعبئة الناس واغفالهم وتأليبهم ضد أمير المؤمنين عليه السلام كما كتب إليه عليه السلام: وألّب عالمكم جاهلكم، وقائمكم قاعدكم (5).

ومن خدعه ما ذكره ابن كثير في البداية و النهاية: ولما قتل عثمان 55

1- نهج البلاغة الكتاب رقم 75

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 8

3- المصدر نفسه الكتاب رقم 65

4- المصدر نفسه الكتاب رقم: 17

5- المصدر نفسه الكتاب رقم 55

ابن عفان خرج النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بدمه ومعه أصابع نائله [زوجة عثمان] التي اصيبت حين حاجفت عنه بيدها فقطعت بعض الكف فورد به على معاوية بالشام، فوضعه معاوية على المنبر ليراه الناس، و علق الأصابع في كمّ القميص، وندب الناس إلى الأخذ بهذا الثأر والدم وصاحبه فتباكى الناس حول المنبر، وجعل القميص يرفع تارة ويوضع تارة، والناس يتباكون حوله سنة، وحثّ بعضهم بعضاً على الأخذ بثأره واعتزل أكثر الناس النساء في هذا العام، وقام في الناس معاوية وجماعة من الصحابة معه يحرضون الناس على المطالبة بدم عثمان» (1).

وفي نص آخر: كان معاوية يعلق قميص عثمان وفيه الأصابع، فاذا رأى ذلك أهل الشام ازدادوا غيظاً وجدّاً في أمرهم ثم رفعه، فاذا أحسّ بفتور يقول له عمرو بن العاص: حرّك لها حوارها تحن فيعلّقها» (2).

وقال مبعوث معاوية لأمير المؤمنين عليه السلام: تركت ستين ألف شيخ يبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر دمشق (3).

فهذا كان من أكبر خدع معاوية ضد الإمام، وقد حاول عليه السلام ردّ .

1- البداية والنهاية 7: 255

2- الكامل لابن الأثير 7: 192

3- تاريخ الطبري 3: 463.

خديعته ببيانه وبنانه فكتب إليه ولعمري يا معاوية، لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنّي أبرأ الناس من دم عثمان، ولتعلمنّ انّي كنت في عزلة عنه (1)

وكتب عليه السلام أيضاً: «و أمّا ما سألت من دفع قتلة عثمان اليك، فانّي نظرت في هذا الأمر فلم أره يسعني دفعهم اليك ولا إلى غيرك، ولعمري لئن لم تنزع عن غيّك وشقاقك لتعرفنّهم عن قليل يطلبوك ولا يكلّفونك طلبهم في برّ ولا بحر ولا جبل ولا سهل الّا انّه طلب يسوءك وجدانه، وزور لا يسرّك لقيانه» (2).

وكتب عليه السلام أيضاً: وزعمت أنّك جئت ثائراً بدم عثمان، ولقد علمت حيث وقع دم عثمان فاطلبه من هناك إن كنت طالباً» (3).

و كتب عليه السلام أيضاً: «فأما إكثارك الحجاج في عثمان وقتلته، فانّك انّما نصرت عثمان حيث كان النصر لك وخذلته حيث كان النصر له (4)

وكتب له أيضاً: «وقد أكثرت في قتلة عثمان، فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم اليّ أحملك وإياهم على كتاب الله» (5) 4

1- نهج البلاغة الكتاب رقم 6

2- المصدر نفسه، الكتاب رقم: 9

3- المصدر نفسه الكتاب رقم: 10

4- المصدر نفسه الكتاب رقم: 37

5- المصدر نفسه، الكتاب رقم 64

ومن خدع معاوية أيضاً ادعاؤه بطلان بيعة أمير المؤمنين عليه السلام حيث لم يشهدها الجميع، وعليه لابد من نقضها وإرجاع الأمر شورى بين المسلمين وفي جوابه وردّ هذه الشبهة كتب أمير المؤمنين عليه السلام: «انّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على مابايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يردّ، وانّما الشورى للمهاجرين والأنصار، فان اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضى، فان خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّه إلى ما خرج منه فان أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين و ولّاه الله ما تولّى» (1).

و كتب عليه السلام إليه أيضاً: «لأنّها بيعة واحدة لا يُثنّى فيها النظر، ولا يُستأنف فيها الخيار الخارج منها طاعن، والمروّي فيها مداهن. (2)

ومن خدعه أيضاً نبش الماضي، وإظهار مخالفة أمير المؤمنين عليه السلام للخلفاء المتقدمين الذين كان يموّه بأفضليتهم على أمير المؤمنين عليه السلام لاشعال نار الفتنة الطائفية، وقد أجابه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: وزعمت أن أفضل الناس في الاسلام فلان وفلان، فذكرت أمراً إن تمّ اعتزلك كله، وإن نقص لم يلحقك ثلمه، وما أنت والفاضل والمفضول والسائس والمسوس وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين .

1- نهج البلاغة الكتاب رقم 6.

2- المصدر نفسه الكتاب رقم: 7.

الأولين وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم هيهات لقـد حنّ قـدح ليس منها، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم فيها ألا تربع أيها الانسان على ظلعك، وتعرف قصور ذرعك، وتتأخّر حيث أخّرك القدر، فما

عليك غلبة المغلوب ولا لك ظفر الظافر ....

وزعمت أنّي لكل الخلفاء،حسدت وعلى كلّهم بغيت، فان يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر اليك ... وقلت انّي كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى ابايع، ولعمر الله لقد أردت أن تذمّ فمدحت، وأن تفضح فافتضـحت وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً مالم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً بقينه ....

ثم ذكرت مـا كـان من أمري و أمر عثمان، فلك أن تجاب عن هـذه لرحمك منه فأيّنا كان أعـدى له وأهـدى إلى مقاتله، أمن بـذل له نصـرته فاستقعده واستكفّه، أم من استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون إليه حتى أتى قدره ...» (1).

وكذلك تمسّك معاوية بقتل طلحة و الزبير لتأليب الناس، فردّه عليه السـلام وقال: وذكرت أنّي قتلت طلحة والزبير وشـرّدت بعائشة، ونزلت بين المصرين، وذلك أمر غبت عنه فلا عليك ولا العذر فيه لك (2).

هذا عدا استمالة ضعفاء الإيمان بالأموال والمناصب، فذهب إليه 64

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 28

2- المصدر نفسه الكتاب رقم 64

من ذهب ممّن اغتر بالدنيا أمثال عمرو بن العاص الذي قال عليه السلام فيه: «انّه لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتيه أتية، ويرضخ له على ترك الدين رضيخة» (1).

وكتب له أيضاً: «فانّك جعلت دينك تبعاً لدنيا امرئ ظاهر غيّه مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويُسفه الحليم بخلطته، فاتبعت أثره وطلبت فضله اتباع الكلب للضرغام يلوذ إلى مخالبه، وينتظر ما يُلقى إليه من فضل فريسته فأذهبت دنياك وآخرتك (2).

وكذلك غيره ممّن ترك الإمام عليه السلام وذهب إلى معاوية، وقد كتب عليه السلام إلى سهل بن حنيف عامله على المدينة، يصف فيه حال الفارين: «أما بعد، فقد بلغني انّ رجالاً ممّن قبلك يتسلّلون إلى معاوية، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم، ويذهب عنك من مددهم فكفى لهم غياً ولك منهم شافياً فرارهم من الهدى والحق، و ايضاعهم إلى العمى والجهل، وانّما هم أهل دنيا مقبلون عليها، ومهطعون إليها، قد عرفوا العدل ورأوه، وسمعوه ووعوه، وعلموا انّ الناس عندنا في الحق اسوة، فهربوا إلى الأثرة فبعداً لهم وسحقاً، انّهم والله لم ينفروا من جور، ولم يلحقوا بعدل» (3). 70

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 83

2- المصدر نفسه، الكتاب رقم: 39

3- المصدر نفسه الكتاب رقم: 70

فهـذه كـانت أحوال معاويـة، وكـان دور أمير المؤمنين عليه السـلام في معالجـة الأـمر أولاً: تبيين ما عليه معاويـة من واقع الحال في إظهار الإيمان نفاقاً وتبيين ضلاله وانّه هو الذي ترك نصرة عثمان، كما مرّ شطر منه.

و ثانياً: النصـيحة، فقـد كتب عليه السـلام إلى معاويـة: وكيف أنت صانع إذا تكشّفت عنك جلابيب ما أنت فيه من دنيا قد تبهّجت بزينتها، وخدعت بلذّتها دعتك فأجبتها، وقادتك فاتّبعتها، وأمرتك فأطعتها، وإنّه يوشك أن يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجنّ، فاقعس عن هذا الأمر، وخذ أهبة الحساب، وشمّر لما قد نزل بك، ولا تمكّن الغواة من سمعك ...» (1).

وكتب عليه السـلام له أيضـاً: وأرديت جيلاً من النـاس كثيراً، خـدعتهم بغيّك، وألقيتهم في موج بحرك، تغشـاهم الظّلمات وتتلاطم بهم الشّبهات، فجاروا عن وجهتهم، ونكصوا على أعقابهم، وتولّوا على أدبارهم، وعوّلوا على أحسابهم إلّا من فاء من أهل البصائر، فإنّهم فارقوك بعـد معرفتـك، وهربوا إلى الله سـبحانه من موازرتـك، إذ حملتهم على الصّعب وعـدلت بهم عن القصـد. فاتّق الله يا معاويـة في نفسك، وجاذب الشّيطان قيادك، فإنّ الدّنيا منقطعة عنك، والآخرة قريبة منك، والسّلام (2). 32

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 10

2- المصدر نفسه، الكتاب رقم: 32

وكتب عليه السلام له أيضاً: «فائق الله فيما لديك، وانظر في حقّه عليك، وارجع إلى معرفة ما لا تعذر بجهالته، فإنّ للطّاعة أعلاماً واضحة وسبلاً نيّرة، ومحجّة نهجة، وغاية مطّلبة يردها الأكياس، ويخالفها الأنكاس، من نكب عنها جار عن الحقّ، وخبط في التّيه، وغيّر الله نعمته وأحلّ به نقمته فنفسك نفسك! فقد بيّن الله لك سبيلك وحيث تناهت بك أمورك، فقد أجريت إلى غاية خسر، ومحلّة كفر، وإنّ نفسك قد أو حلتك شرّاً، وأقحمتك غيّاً، وأوردتك المهالك، وأوعرت عليك المسالك. (1)

وكتب عليه السلام له أيضاً: وإنّ البغي والزّور يوتغان المرء في دينه ودنياه، ويبديان خلله عند من يعيبه وقد علمت أنّك غير مدرك ما قُضي فواته، وقد رام أقوام أمراً بغير الحقّ، فتأوّلوا على الله فأكذبهم، فاحذر يوماً يغتبط فيه من أحمد عاقبة عمله، ويندم من أمكن الشيطان من قياده فلم يجاذبه» (2).

وكتب عليه السلام له أيضاً: «فائق الله في نفسك، ونازع الشيطان قيادك، واصرف إلى الآخرة وجهك، فهي طريقك، واحذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة تمسّ الأصل، وتقطع الدابر ...». (3) .

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 30.

2- المصدر نفسه، الكتاب رقم 48.

3- المصدر نفسه الكتاب رقم 55.

وكتب له عليه السلام: «أمّا بعد، فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأمور، فقد سلكت مدارج أسلافك بادّعائك الأباطيل وإقحامك غرور المين والأكاذيب وبانتحالك ما قد علا عنك وابتزازك لما قد اختزن دونك فراراً من الحقّ، وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك، ممّا قد وعاه سمعك، وملىء به صدرك، فماذا بعد الحق إلّا الضّلال وبعد البيان إلّا اللّبس فاحذر الشّبهة واشتمالها على لبستها فإنّ الفتنة طالما أغلفت جلابيبها، وأعشت الأبصار ظلمتها» (1).

وثالثاً: عدم الاسراع للشروع بالحرب، فقد كتب عليه السلام لمعاوية: وأقسم بالله لولا بعض الاستبقاء لوصلت اليك منّي قوارع تقرع العظم وتهلس اللحم. (2)

وبلغ هذا التأنّي أن استبطأ جيش أمير المؤمنين عليه السلام القتال حتى اتهموه بالخوف والشك، ممّا اضطره عليه السلام أن يقول لهم: اما قولكم أكل ذلك كراهية الموت فو الله ما أبالي دخلت إلى الموت أو خرج الموت اليّ، وأما قولكم: شكاً في أهل الشام، فو الله ما دفعت الحرب يوماً الّا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي، وتعشوا إلى ضوئي، وذلك أحب اليّ من أن أقتلها على ضلالها، وإن كانت تبوء بآثامها» (3). 54

1- نهج البلاغة الكتاب رقم 65

2- المصدر نفسه، الكتاب رقم: 73

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم 54

و رابعاً: الحرب وهي آخر الـدواء، فقـد كتب عليه السـلام له: «وأنا مرقل نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، شديد زحامهم ساطع قتامهم متسـربلين سـرابيل الموت أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم قد صـحبتهم ذريّة بدريّة، وسـيوف هاشمية، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك، وما هي من الظالمين ببعيد (1).

وقبـل لقـاء العـدوّ دعـا عليه السـلام ربه وقـال: «اللهـمّ ربّ السّـقف المرفوع، والجوّ المكفوف، الـذي جعلته مغيضاً لليل والنّهار، ومجرّى للشّـمس والقمر، ومختلفاً للنّجوم السّيّارة، وجعلت سكّانه سبطاً من ملائكتك، لا يسأمون من عبادتك. وربّ هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام، ومدرجاً للهوامّ والأنعام، وما لا يحصى ممّا يرى وما لا يرى. وربّ الجبال الرّواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً، وللخلق اعتماداً. إن أظهرتنا على عدوّنا فجنّبنا البغي وسدّدنا للحقّ، وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصمنا من الفتنة.

أين المانع للذّمار والغائر عند نزول الحقائق من أهل الحفاظ؟! العار وراءكم، والجنة أمامكم!. (2)

ثم استنهض أصحابه للجهاد وقال عليه السلام: «اللهـمّ أيّما عبدٍ من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة، والمصلحة في الدين والدنيا 71

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 28

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 171

غير المفسدة، فأبى بعد سمعه لها إلّا النّكوص عن نصرتك، والإبطاء عن إعزاز دينك، فإنّا نستشهدك عليه يا أكبر الشّاهدين شهادة، ونستشهد عليه جميع ما أسكنته أرضك و سماواتك، ثمّ أنت بعد المغني عن نصره، والآخذ له بذنبه»(1).

ثم دارت المعركة بأشد ما يكون فيوم لأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام على معاوية ويوم لمعاوية على أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يقول لهم: وقد رأيت جولتكم، وانحيازكم عن صفوفكم، تحوزكم الجفاة الطّغام، وأعراب أهل الشام وأنتم لهاميم العرب، ويآفيخ الشّرف والأنف المقدّم، والسّنام الأعظم، ولقد شفى وحاوح صدري أن رأيتكم بآخرة تحوزونهم كما حازوكم، وتزيلونهم عن مواقفهم كما أزالوكم؛ حسّاً بالنّصال وشجراً بالرّماح تركب أولاهم أخراهم كالإبل الهيم المطرودة ترمى عن حياضها، وتذاد عن مواردها!» (2).

وكان عليه السلام يحثّ جنده ويقول: واعلموا انّكم بعين الله ومع ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فعاودوا الكرّ، واستحيوا من الفرّ، فإنّه عار في الأعقاب، ونار يوم الحساب، وطيبوا عن أنفسكم نفساً، عن أنفسكم نفساً، وامشوا إلى الموت مشياً سجحاً، وعليكم بهذا السّواد الأعظم، والرّواق المطنّب، فاضربوا ثبجه، فإنّ الشّيطان كامن في كسره، قد قدّم للوثبة يداً، وأخّر 6

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 212

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 106

للنكوص رجلاً؛ فصمداً صمداً! حتّى ينجلي لكم عمود الحقّ؛ وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم» (1).

ولما غلب أصحاب معاوية على شريعة الفرات، ومنعوا جيش أمير المؤمنين عليه السلام منه، قام خطيباً وقال لهم: «قد استطعموكم القتال، فأقرّوا على مذلّة، وتأخير محلّة، أو روّوا السّيوف من الدّماء تروووا من الماء؛ فالموت في حياتكم مقهورين والحياة في موتكم قاهرين. ألا وإنّ معاوية قاد لمةً من الغواة، وعمّس عليهم الخبر، حتّى جعلوا نحورهم أغراض المنيّة (2).

ومع هذا كلّه لما سمع عليه السلام جيشه يسبّون أصحاب الشام، نهاهم عن ذلك وقال لهم: إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم إياهم: اللّهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم، حتّى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغيّ والعدوان من لهج به (3)

و هكذا استمر الأمر إلى أن لجأ معاوية إلى خدعة رفع المصاحف حيث ظهرت فتنة الخوارج كما سنبينه لاحقاً.06

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 65

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم 51

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 206

4 - الخوارج:

انّ طريقة الخوارج ومنهجهم التفكيري كان منذ زمن النبي صلى الله عليه و آله و سلم وقد قال فيهم: «هم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة (1)

ولكن كان أوّل ظهورهم التنظيمي بعد حادثة التحكيم في حرب صفين. وذلك عندما رفع أصحاب معاوية المصحف ودعوا إلى التحكيم إليه، الأمر الذي تنبأ به أمير المؤمنين عليه السلام من ذي قبل في كتاب كتبه إلى معاوية: وكأنّي بجماعتك تدعوني جزعاً من الضرب المتتابع، و القضاء الواقع، ومصارع بعد مصارع إلى كتاب الله وهي كافرة جاحدة أو مبايعة حائدة» (2).

وكان موقف أمير المؤمنين عليه السلام أمام هذه الخدعة، الرفض وعدم القبول ومن الخوارج الإصرار وإجبار الإمام على القبول، وأمير المؤمنين عليه السلام يصوّر لنا هذا الأمر في احتجاجه على الخوارج ويقول: «ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة وغيلة ومكراً و خديعة اخواننا وأهل دعوتنا، استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه، فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم، فقلت لكم: هذا أمر ظاهره ايمان وباطنه عدوان، وأوّله رحمة و آخره ندامة، فأقيموا على شأنكم، والزموا طريقتكم، وعضّوا

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 2: 267 وفتح الباري لابن حجر 12: 253

2- نهج البلاغة الكتاب رقم: 10

على الجهاد بنواجذكم، ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق إن أُجيب أضلّ وإن تُرك ذلّ» (1).

وقال عليه السلام لهم أيضاً: وقد كنت نهيتكم عن هذه الحكومة، فأبيتم عليّ إباء المخالفين المنابذين حتى صرفت رأيي إلى هواكم (2)

وبعدما قبل عليه السلام التحكيم كتب إلى معاوية: «وقد دعوتنا إلى حكم القرآن ولست من أهله ولسنا إيّاك أجبنا ولكنّا أجبنا القرآن إلى حكمه» (3)

ولمّا رشّح معاوية عمرو بن العاص للتحكيم، أراد أمير المؤمنين عليه السلام ترشيح ابن عباس، لكن الخوارج رفضوا وأصرّوا عليه بتعيين أبي موسى الأشعري، يقول عليه السلام: «ألا وانّ القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم ممّا تحبون، واخترتم لأنفسكم أقرب القوم ممّا تكرهون، وإنّما عهدكم بعبد الله بن قيس بالأمس يقول: إنّها فتنة فقطّعوا أوتاركم وشيموا سيوفكم، فإن كان صادقاً فقد أخطأ بمسيره غير مستكرهٍ وإن كان كاذباً فقد لزمته التّهمة فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العبّاس، وخذوا مهل الأيّام، وحوطوا قواصي الإسلام، ألا ترون إلى بلادكم تغزى، وإلى صفاتكم ترمى!»(4). 36

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 121

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم 36

3- المصدر نفسه، الكتاب رقم 48

4- المصدر نفسه، الخطبة رقم 236

ويـذكرهم عليه السـلام بعـدم أهليتهما للتحكيم ويقول: «فأجمع رأي ملئكم على أن اختاروا رجلين فأخذنا عليهما أن يجعجعا [أي يقيما] عند القرآن ولا يجاوزاه وتكون ألسـنتهما معه وقلوبهما تبعه فتاها عنه وتركا الحقّ وهما يبصرانه، وكان الجور هواهما والاعوجاج دأبهما، وقد سبق استثناؤنا عليهما – في الحكومة بالعدل، والصّمد للحقّ – سوء رأيهما، وجور حكمهما» (1).

وقال عليه السـلام: «انّما اجتمع رأي ملئكم على اختيار رجلين، أخـذنا عليهما ألّا يتعدّيا،القرآن فتاها عنه وتركا الحقّ وهما يبصـرانه، وكان الجور هواهما والاعوجاج دأبهما، وقد سـبق استثناؤنا عليهما في الحكم بالعدل والعمل بالحق سوء رأيهما وجود حكمهما، والثقة في أيدينا لأنفسنا، حين خالفا سبيل الحق وأتيا بما لا يُعرف من معكوس الحكم» (2).

لكنّهم ندموا على ما فعلوا حيث لا ينفع الندم، كما قال عليه السـلام: أما بعد فانّ معصـية الناصح الشـفيق العالم المجرب تورث الحسـرة، وتعقب الندامـة، وقـد كنت أمرتكم في هـذه الحكومة أمري، ونخلت لكم مخزون رأيي لو كان يطاع لقصـير أمر، فأبيتم عليّ إباء المخالفين الجفاة، والمنابذين العصاة، حتى ارتاب الناصح بنصحه، وضنّ الزند بقدحه، 27

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 177

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 127

فكنت وإيّاكم كما قال أخو هوازن:

أمرتكم أمري بمنعرج اللّوى *** فلم تستبينوا النصح الّا ضحى

الغد» (1)

وهـذه الفتنة راح ضـحيتها الكثير، فانحازوا واصـطفوا مع الخوارج، وقد قال عليه السـلام في قوم من جند الكوفة لحقوا بالخوارج: «بعداً لهم كما بعدت ثمود، أما لو أشـرعت الأسـنة إليهم، وصـبّت السيوف على هاماتهم، لقد ندموا على ما كان منهم، أنّ الشيطان اليوم قد استفلّهم وهو غداً متبرّئ منهم ومخلّ عنهم، فحسـبهم بخروجهم من الهدى وارتكاسهم في الضلال والعمى وصدّهم عن الحق وجماحهم في التيه (2)

وهناك أيضاً من احتار في أمره ولم يعرف الصواب من الخطأ، فقـد قام رجل إلى أمير المؤمنين عليه السـلام فقال له: نهيتنا عن الحكومـة ثم أمرتنا بها، فما ندري أيّ الأمرين أرشد، فصـفق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى ثم قال: هذا جزاء من ترك العقدة أما والله لو أنّي حين أمرتكم بما أمرتكم به حملتكم على المكروه الـذي يجعل الله فيه خيراً، فإن اسـتقمتم هـديتكم وإن اعوججتم قوّمتكم وإن أبيتم تداركتكم لكانت الوثقى، ولكن بمن وإلى من! أريد أن أداوي بكم وأنتم دائي .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 35.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 181.

كناقش الشّوكة بالشّوكة وهو يعلم أنّ ضلعها معها!» (1)

ثم انّ الخوارج ندموا على مافعلوه وتابوا بزعمهم وطلبوا التوبة من أمير المؤمنين عليه السلام وسائر المسلمين للرضى بتحكيم الرجال إذ أنّه لا حكم إلّا الله، فأجابهم عليه السلام قائلاً: «أنّا لم نحكّم الرجال، وإنّما حكّمنا القرآن. وهذا القرآن إنّما هو خطّ مستور بين الدّفّتين، لا ينطق بلسان، ولابدّ له من ترجمان؛ وإنّما ينطق عنه الرّجال. ولمّا دعانا القوم إلى أن نحكّم بيننا القرآن لم نكن الفريق المتولّي عن كتاب الله، وقال الله سبحانه: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ)، فردّه إلى الله أن نحكم بكتابه، وردّه إلى الرّسول أن نأخذ بسنّته؛ فإذا حُكم بالصّدق في كتاب الله، فنحن أحقّ الناس به، وإن حُكم بسنّة رسول الله فنحن أحقّ الناس وأولاهم به.

وأمّا قولكم: لم جعلت بينك وبينهم أجلاً في التّحكيم؟ فإنّما فعلت ذلك ليتبيّن الجاهل، ويتثبّت العالم، ولعلّ الله أن يصلح في هذه الهدنة أمر هذه الأمّة، ولا تؤخذ بأكظامها، فتعجل عن تبيّن الحقّ، وتنقاد لأوّل الغيّ» (2).

وأجاب عليه السلام عن اتهامه بالكفر: أصابكم حاصب، ولا بقي منكم آبر، أبعد ايماني بالله وجهادي مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أشهد على نفسي 25

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 120

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 125

بالكفر، لقد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين (1)

وقال عليه السلام وهو يحاججهم: فإن أبيتم إلّا أن تزعموا أنّي أخطأت وضللت، فلم تضللّون عامّة أمّة محمد صلى الله عليه و آله و سلم بضلالي، وتأخذونهم بخطئي، وتكفّرونهم بذنوبي! سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البراءة والسّقم، وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب.

وقد علمتم أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم رجم الزّاني [المحصن] ثمّ صلّى عليه ثمّ ورّثه أهله وقتل القاتل وورّث ميراثه أهله، وقطع السّارق وجلد الزّاني غير المحصن ثمّ قسم عليهما من الفيء ونكحا المسلمات؛ فأخذهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، بذنوبهم، وأقام حقّ الله فيهم ولم يمنعهم سهمهم من الإسلام ولم يخرج أسماءهم من بين أهله. ثمّ أنتم شرار النّاس، و من رمى به الشّيطان مراميه و ضرب به تيهه! (2)

وأجاب عليه السلام عن شبهة (لا حكم الّا الله) بقوله: «كلمة حق يراد بها باطل! نعم إنّه لا حكم إلا الله، ولكنّ هؤلاء يقولون: لا إمرة، فإنّه لابدّ للنّاس من أمير برّ أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلّغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدوّ، وتأمن به السّبل، ويؤخذ به للضّعيف من القويّ، حتى يستريح برّ، 27

1- نهج البلاغة الخطبة رقم 57

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 127

ويستراح من فاجر (1)

ولم يال عليه السلام جهداً في نصيحتهم وتحذيرهم، فقد قال لهم: «فأنا نذير لكم أن تصبحوا صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط على غير بيّنة من ربكم ولا سلطان مبين معكم، قد طوّحت بكم الدار واحتبلكم المقدار» (2).

وكانوا منتشرين في جيش الإمام عليه السلام قبل انحيازهم بالنهروان وكانوا يبثون الشكوك والشبه حتى أمام أمير المؤمنين عليه السلام نفسه، فكانوا يأتون إليه ويسمعونه شعارهم لا حكم الّا الله» ممّا اضطر الإمام إلى أن يقول للبرج بن مسهر الطائي: اسكت قبّحك الله يا أثرم فو الله لقد ظهر الحق فكنت فيه ضئيلاً شخصك خفياً صوتك، حتى إذا نعر الباطل نجمت نجوم قرن المعاز» (3).

ولما نصح عليه السلام أصحابه بكفّ النظر عن الشهوات في واقعة، قال بعض الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه، فوثب القوم ليقتلوه فقال: رويداً انّما هو سبّ بسبّ أو عفو عن ذنب (4)

ولما خرج عليه السلام ليخطب الناس صاحوا به من جوانب المسجد: لا .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 40.

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم 36.

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 184.

4- المصدر نفسه، قصار الحكم:408.

حكم الّا الله، وصاح به رجل منهم واضع إصبعه في اذنيه فقال: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (1).

فقال عليّ عليه السلام: فاصبر انّ وعد الله حق ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون» (2).

ونفس الواقعة تكررت مرّة أُخرى وهو عليه السلام في الصلاة، فأجاب بنفس الجواب (3).

فلما رأى أمير المؤمنين عليه السلام انّهم تمادوا في الضلال، ولم تنفعهم النصائح ضيّق عليهم، وقال فيما قال: ألا ومن دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه، فانّما حُكّم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن، ويميتا ما أمات القرآن، وإحياؤه الاجتماع عليه، واماتته الافتراق عنه، فان جرّنا القرآن إليهم اتبعناهم، وإن جرّهم الينا اتبعونا» (4).

وحتى بعدما انحازوا وبدأوا بالقتل والسلب، كان يرسل إليهم الأشخاص للمحاججة والنصيحة، وفي إحدى المرات أرسل ابن عباس وقال له: «لا تخاصمهم بالقرآن فانّه حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون .

1- الزمر: 65.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 2: 269.

3- المصدر نفسه 2: 311

4- نهج البلاغة الخطبة رقم: 127.

ولكن حاججهم بالسنة فانّهم لن يجدوا عنها محيصاً) (1).

ورغم كـل تلـك الجهود وبعـد رجوع قوم منهم إلى الحق، كـان آخر الـدواء الكي، فـدارت الحرب، وقتلوا عن آخرهم وكـان كمـا قال أمير المؤمنين عليه السلام: «مصارعهم دون النطفة والله لا يفلت منهم عشرة، ولا يهلك منكم عشرة» (2).

ولما مرّ عليه السـلام بقتلاهم قال: «بؤساً لكم، لقد ضـركم من غركم، فقيل له من غرهم يا أمير المؤمنين؟ فقال: الشيطان المضل، والأنفس الأمارة بالسوء غرتهم بالأماني، وفسحت لهم في المعاصي ووعدتهم الإظهار، فاقتحمت بهم النار» (3).

وبعد ما تمت الحرب نهى عليه السـلام عن قتلهم بعده ومتابعتهم وقال: لا تقتلوا الخوارج بعدي، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه يعني معاوية (4)

وذلك لأنّ هذا النمط من التفكير سيبقى ويستمر كما قال عليه السلام: انّهم نطف في أصلاب الرجال، وقرارات النساء، كلّما نجم منهم قرن قطع حتى يكون آخرهم لصوصاً سلابين (5) 59

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 77

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم 58

3- المصدر نفسه، قصار الحكم: 314

4- المصدر نفسه، الخطبة رقم 60

5- المصدر نفسه، الخطبة رقم 59

وقال فيهم عليه السلام: «أما انّكم ستلقون بعدي ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وأثرة يتخذها الظالمون فيكم سنة» (1).

وقيل في تعليل نهيه عليه السلام عن قتل الخوارج:

1 – أنّه عليه السلام أراد اعطاء شرعية النهوض أمام الحاكم الجائر والاعتراض عليه، إذ انّ الحكام ربما يستغلّون موقف الإمام ويقمعون كل صوت يخالفهم بتهمة الخروج على الإمام.

2 – وكذلك انّ الذي له الحق في محاربة الخوارج انّما هو الإمام الحق، ولا حكومة معصومة بعد علي عليه السلام الّا للإمام المهدي عليه السلام – عدا أيام الإمام الحسن عليه السلام القلائل –

3 – ما ذهب إليه العلامة المجلسي من أنّه لا تقتلوا الخوارج بعدي ما دام ملك معاوية وأضرابه، كما يظهر من التعليل (2) .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم 57.

2- البحار: 434:33.

7 - علي عليه السلام والصحابة

لقد انطلق أمير المؤمنين عليه السلام في تعامله الصحابة والتكلم عنهم موقف القرآن، إذ انّ القرآن لم يعطهم العصمة في امورهم، بل مدحهم تارة وذمّهم أخرى، فاذا أحسنوا كان جزاؤهم الاحسان، وإن أساؤوا كان جزاؤهم الذم والهوان، شأنهم شأن سائر الناس، لو لم تكن الحجة عليهم ألزم كما هو الحال في نساء النبي صلى الله عليه و آله و سلم إذ يقول الله تعالى فيهنّ: (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا) (1). فهذا حال نساء النبي صلى الله عليه و آله و سلم فناهيك عن غيرهنّ من المسلمين.

ثم انّ الرسول الكريم صلى الله عليه و آله و سلم الذي لم يصدر منه أمام الله تعالى سوى العبودية والخضوع والتذلل والانقطاع، يُهدّد تارة بقوله تعالى: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ) (2).

وتارة بقوله: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ

1- الأحزاب: 30 - 31.

2- الحاقة: 44 - 46.

لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (1). وأخرى بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۖ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) (2). ويقول هو صلى الله عليه و آله و سلم عن نفسه الشريفة: «ولو عصيت لهويت» (3).

فمع هذا لا أدري كيف اجترأ القوم بالحكم على عدالة جميع الصحابة بما فيهم ومهما فعلوا؟ هذا ما يخالف القرآن والسنة النبوية فالقرآن يدل على انّ ملاك النجاة انّما هو التقوى والعبودية من أيّ شخص كان، وملاك الهلاك انّما هو العصيان ومتابعة الشيطان من أيّ شخص كان، وانّما المكفّر الوحيد للذنوب الاستغفار والتوبة لا شيء آخر، فمن أذنب ثم تاب واستغفر غفر الله تعالى له ورضى عنه سواء كان صحابياً أو غير صحابي، كما قال تعالى: (لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ) (4). وكما قال تعالى في مسألة مباشرة النساء ليلة الصيام: (عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ) (5).

وقوله تعالى: (لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ .

1- الزمر: 65.

2- المائدة: 68.

3- الارشاد للمفيد 1: 182 شرح النهج لابن ابي الحديد 184:10.

4- الفتح: 18.

5- البقرة: 187.

رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (1). ومن الطبيعي انّ هـذه الآيات لم تنزل دفعـة واحـدة، بل نزلت واحـدة تلو الأخرى وفي مناسـبات مختلفة، فنرى التوبة السابقـة و المغفرة من الله تعـالى لحقتهـا توبـات ومغفرات أخرى في مناسـبات أخرى، ممـا يـدلّل على انّ حال الصـحابة حال غيرهم في المعصية والتوبة والمغفرة.

مضافاً إلى انّ هذا الرضـى وقبول التوبة لم يكن ليعطي العصمة من الوقوع في الذنوب مرة أخرى، ولم يقل أحد من المسلمين ان صحابياً لو أذنب بعد نزول هذه الآيات الدالة على الرضى والمغفرة، لم يحتج إلى التوبة والاستغفار، وانّه يكفيه شمول هذه الآيات عند نزولها إذ أصبح في حمى رضـى الله تعالى أبـد الآبـدين، كيف وقد احتجوا بنجاة البغاة على الإمام: طلحة و الزبير وعائشة؛ بتوبتهم وندمهم وسـردوا لذلك شواهـد، ولم يسـتدلّوا على نجاتهم ولم يحتجوا بكونهم من أصـحاب الشـجرة وبيعـة الرضوان الذين رضـي الله عنهم، ومن الذين تاب الله عليهم في مواطن مختلفة، فلا حاجة إذن للتوبة إذ ثبتت عدالتهم من ذي قبل، بل تمسـكوا و حاولوا اثبات توبتهم، لعلمهم في قرارة أنفسهم بأنّ الصـحابي وغير الصـحابي والنبي وغير النبي أمام المعصـية والذنب سواسـية، كما قال زين العابدين عليه السـلام: خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن إليه ولوكان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولوكان سيداً قرشياً» (2).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «انّ وليّ محمد من أطاع الله وإن بعدت 2

1- التوبة: 117.

2- المناقب لابن شهر آشوب 3: 291، البحار 46: 82

لحمته، وانّ عدوّ محمد من عصى الله وإن قربت قرابته (1)

أما السنة النبوية فيكفينا حديث الحوض الوارد والثابت في صحاح القوم الدالّ بصراحته على ارتداد بعض الصحابة القهقرى واحداث البدع والفتن مما استوجبوا بها النار، فقد روى البخاري في صحيحه انّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: «أنا فرطكم على الحوض، وليرفعنّ رجال منكم ثم ليختلجنّ دوني فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: انّك ما تدري أحدثوا بعدك» (2). وفي لفظ آخر للبخاري: «انّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، أنّهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى» (3).

وهذا ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام وأكّده بقوله: «حتى اذا قبض الله رسوله صلى الله عليه و آله و سلم رجع قوم على الأعقاب وغالتهم السبل واتكلوا على الولائج، ووصلوا غير الرحم، وهجروا السبب الذي امروا بمودته، ونقلوا البناء عن رصّ أساسه، فبنوه في غير موضعه معادن كل خطيئة، وأبواب كل ضارب في غمرة قد ماروا في الحيرة، وذهلوا في السكرة على سنّة من آل فرعون من منقطع إلى الدنيا راكن، أو مفارق للدين مباين (4)

وفي نص آخر سأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام عن الفتنة، وانّه هل سأل عنها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقال عليه السلام: «لمّا أنزل الله سبحانه قوله: (الم * .

1- نهج البلاغة، قصار الحكم 90.

2- صحيح البخاري 7: 206، وصحيح مسلم 7: 68، وسنن ابن ماجة 2: 1016.

3- المصدر نفسه 7: 208

4- نهج البلاغة الخطبة رقم: 150.

أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) علمت أن الفتنة لا تنزل بنا و رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بين أظهرنا. فقلت: يا رسول الله ما هذه عليه الفتنة التى أخبرك الله بها؟ فقال: يا علي إنّ أمتي سيفتنون من بعدي». فقلت: يا رسول الله، أوليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عنّي الشّهادة، فشقّ ذلك عليّ، فقلت لي: أبشر، فإنّ الشّهادة من ورائك؟ فقال لي: «إنّ ذلك لكذلك فكيف صبرك إذن»! فقلت: يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصّبر ولكن من مواطن البشرى والشّكر. وقال: يا عليّ، إنّ القوم سيفتنون بأموالهم، ويمنّون بدينهم على ربّهم، ويتمنّون رحمته، ويأمنون سطوته، ويستحلّون حرامه بالشّبهات الكاذبة، والأهواء السّاهية، فيستحلّون الخمر بالنّبيذ، والسّحت بالهديّة والرّبا بالبيع.

قلت: يا رسول الله، فبأيّ المنازل أنزلهم عند ذلك؟ أبمنزلة ردّةٍ، أم بمنزلة فتنةٍ؟ فقال: بمنزلة فتنة» (1).

وقد مضى موقفه عليه السلام أمام الخلفاء، وكذلك البغاة أمثال طلحة والزبير وعائشة ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم.

وكما قلنا في البداية، انّ أمير المؤمنين عليه السلام انطلق في تعامله مع الصحابة من منطلق القرآن، ولذا نراه لا ينسى فضل المحسنين من الصحابة الذين قام الاسلام على أكتافهم، فيقول فيهم: «لقد رأيت أصحاب .

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 156.

محمد صـلى الله عليه و آله و سلم فما أرى أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثا غبراً، قد باتوا سجّداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخـدودهم، ويقفون على مثـل الجمر من ذكر معادهم كأنّ بين أعينهم ركب المعزى من طول سـجودهم، إذا ذُكر الله هملت أعينهم حتى تبلّ جباههم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب ورجاء للثواب (1).

وقال عليه السلام في مدح الأنصار: «هم والله ربّوا الاسلام كما يُربّى الفلو (2) مع غنائهم بأيديهم السباط (3) وألسنتهم السلاط (4) (5).

وقال عليه السلام وهو يصف صمود الصحابة وتضحيتهم لنصرة الدين: ولقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك الّا ايماناً وتسـليماً ومضـياً على اللقم وصبراً على مضض الألم، وجداً على جهاد العدو، ولقد كان الرجل منّا والآخر من عـدوّنا يتصاولان تصاول الفحلين يتخالسان أنفسـهما، أيّهما يسـقي صاحبه كأس المنون، فمرّة لنا من عدوّنا ومرّة لعدوّنا منّا، فلما رأى الله صـلى الله عليه و آله و سلم صدقنا أنزل بعدونا الكبت وأنزل علينا النصر، حتى استقرّ الاسلام ملقياً جرانه ومتبوئاً أوطانه» (6).
55

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 96.

2- الفلوّ: ولد الفرس.

3- السباط: يقال رجل سبط اليدين أي سخي.

4- السلاط: جمع سليط وهو الشديد و ذو اللسان الطويل.

5- نهج البلاغة، قصار الحكم: 453.

6- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 55

8 - علي عليه السلام وبنو امية

أشار أمير المؤمنين عليه السلام في طيات كلامه إلى فتنة بني امية، وما يأتي على الناس من ظلم واضطهاد جرّاء حكمهم، ويتنبأ عليه السلام بسرعة زوال حكمهم، ونحن هنا نورد كلامه عليه السلام حول بني أُمية ونسرده سرداً.

قال عليه السلام: «انّ بني امية ليفوّقوني تراث محمد تفويقاً، والله لئن بقيت لهم لأنفضنّهم نفض اللّحّام الوذام التربة (1).

وقال عليه السلام في دولتهم حتى يظن الظان انّ الدنيا معقولة على بني امية، تمنحهم درّها وتوردهم صفوها لا يُرفع عن هذه الأمة سوطها ولا سيفها، وكذب الظان لذلك، بل هي مجّة من لذيذ العيش يتطعّمونها برهة ثم يلفظونها جملة (2).

وقال عليه السلام: «ألا وإنّ أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني اميّة فإنّها فتنة عمياء مظلمة، عمّت خطّتها، وخصّت بليّتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها. وأيم الله لتجدنّ بني أميّة

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 76

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم 86

لكم أرباب سوءٍ،بعـدي كالنّاب الضّـروس: تعـذم بفيها، وتخبط بيـدها، وتزبن برجلها، وتمنع درّها، لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلّا نافعاً لهم، أو غير ضائرٍ بهم، ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحـدكم منهم إلّا مثل انتصار العبد من ربّه، والصّاحب من مستصـحبه، ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشيةً، وقطعاً جاهليّةً، ليس فيها منار هدًى، ولا علم يرى (1).

وقال عليه السـلام: والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرّماً إلا اسـتحلّوه، ولا عقداً إلّا حلّوه حتّى لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلّا دخله ظلمهم ونبا به سوء رعيهم، وحتى يقوم الباكيان يبكيان: باكٍ يبكي لدينه وباكٍ يبكي لدنياه، وحتّى تكون نصـرة أحدكم من أحدهم كنصـرة العبد من سيّده، إذا شـهد أطاعه وإذا غاب اغتابه، وحتى يكون أعظمكم فيها غناءً أحسنكم بالله ظنّاً، فإن أتاكم الله بعافية فاقبلوا، وإن ابتليتم فاصبروا، فإنّ العاقبة للمتقين» (2).

وقال عليه السـلام في وصف دولتهم وسرعة زوالها: «فعند ذلك لا يبقى بيت مدر ولا وبر إلّا وأدخله الظُّلَمَة ترحةً، وأولجوا فيه نقمةً، فيومئذ لا يبقى لهم في السّـماء عاذر، ولا في الأرض ناصـر. أصـفيتم بالأمر غير أهله، وأوردتموه غير ورده، وسينتقم الله ممّن ظلم، مأكلاً بمأكلٍ، ومشرباً 7

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 92

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 97

بمشـربٍ من مطاعم العلقم ومشارب الصّبر والمقر ولباس شـعار الخوف، ودثار السّيف. وإنّما هم مطايا الخطيئات و زوامل الآثام.،فأقسم ثمّ أقسم لتنخّمنّها أميّة من بعدي كما تلفظ النّخامة، ثمّ لا تذوقها ولا تتطعّم بطعمها أبداً ما كرّ الجديدان» (1).

وقال عليه السلام: «انّ لبني امية مروداً يجرون فيه، ولو قد اختلفوا فيما بينهم ثم كادتهم الضباع الغلبتهم» (2)

قـال الرضـي @: المرود هاهنـا مفعل من الارواد وهو الامهال والانظار، وهـذا من أفصـح الكلام وأغربه، فكأنّه شـبّه المهلـة التي هم فيها بالمضمار الذي يجرون فيه إلى النهاية فاذا بلغوا منقطعها انتقض نظامهم بعدها. 52

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 158

2- المصدر نفسه، قصار الحكم: 452

9 - علي عليه السلام وقريش

بعدما استلم أمير المؤمنين عليه السلام دفّة الحكم، كان يظهر على لسانه ما تحمّله من إقصاء وظلم من قبل قريش فيما مضى، كما استمر الحال في فترة حكمه عليه السلام حيث كانت البلايا والفتن التي حصلت في تلك الفترة من قبلهم وبتخطيطهم، واليك شكواه عليه السلام منهم:

قال عليه السلام: مالي ولقريش، والله لقد قاتلتهم كافرين ولا قاتلنّهم مفتونين، وانّي لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم (1)

وقال عليه السلام: «اللهم انّي أستعديك على قريش ومن أعانهم، فانّهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي، ثم قالوا ألا في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تتركه» (2).

وبنفس اللفظ قال عليه السلام: «اللهمّ إنّي أستعديك على قريشٍ [ومن أعانهم]، فإنّهم قد قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقّاً كنت أولى به من غيري وقالوا ألا إنّ في الحق أن تأخذه، وفي

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 33

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 172

الحقّ أن تمنعه فـاصبر مغمومـاً، أو مت متأسّـفاً. فنظرت فـإذا ليس لي رافـد، ولاـ ذابّ ولاـ مساعـد إلّآ أهل بيتي، فضـننت بهم عن المنيّة فأغضيت على القذى وجرعت ريقي على الشّجا، وصبرت من كظم الغيظ على أمرّ من العلقم وآلم للقلب من حزّ الشّفار» (1).

وكتب عليه السلام إلى ابن عباس: فدع عنك قريشاً وتركاضهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق وجماحهم في التيه، فانّهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله صـلى الله عليه و آله و سلم قبلي، فجزت قريشاً عنّي الجوازي، فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن امّي (2)

وختاماً قال عليه السـلام لما سئل عن قريش: «أمّا بنو مخزوم فريحانة قريش، نحبّ حديث رجالهم والنكاح في نسائهم، وأمّا بنو عبد شمس فأبعـدها رأياً، وأمنعها لما وراء ظهورها، وأمّا نحن فأبـذل لما في أيدينا، وأسـمح عند الموت بنفوسـنا، وهم أكثر وأمكر وأنكر، ونحن أفصـح وأنصح وأصبح» (3) 14

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 217

2- المصدر نفسه الكتاب رقم 36

3- المصدر نفسه، قصار الحكم: 114

10 - أدعية علي عليه السلام

ورد في نهج البلاغة مجموعة من أدعية أمير المؤمنين عليه السلام، كان يدعو بها في حالات ومناسبات مختلفة، وهي تعبّر عن مدى عُلقته عليه السلام المعنوية بالله تعالى ونحن - تتميماً للفائدة - نوردها كما هي.

قال عليه السلام: نسأل الله منازل الشهداء، ومعايشة السعداء، ومرافقة الأنبياء» (1).

وقال عليه السلام وهو يدعو على المتخاذلين من جنده: «اللهم انّي قد مللتهم وملّوني وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً منّي، اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء (2).

ومن دعائه عليه السلام في السفر: «اللهم انّي أعوذ بك من وعثاء السّفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل و المال والولد. اللهم أنت الصّاحب في السفر، وأنت الخليفة في الأهل؛ ولا يجمعهما غيرك؛ لانّ المستخلف

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 23

2- المصدر نفسه الخطبة رقم 25

لا يكون مستصحباً، والمستصحب لا يكون مستخلفاً» (1).

وقال عليه السلام: نسأل الله سبحانه أن يجعلنا واياكم ممن لا تبطره نعمة، ولا تقصر به عن طاعة ربه غاية، ولا تحلّ به بعد الموت ندامة ولا كآبة» (2).

وقال عليه السلام: «اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به منّي؛ فإن عدت فعد لي بالمغفرة. اللهمّ اغفر لي ما وأيت من نفسي، ولم تجد له وفاءً عندي. اللهمّ اغفر لي ما تقرّبت به إليك [بلساني] ثمّ خالفه قلبي. اللهمّ اغفر لي رمزات الألحاظ، وسقطات الألفاظ، وشهوات الجنان، وهفوات اللّسان» (3).

وقال عليه السلام: «اللهم أنت أهل الوصف الجميل، والتّعداد الكثير، إن تؤمّل فخير مأمولٍ، وإن ترج فأكرم مرجوٍّ. اللهم وقد بسطت لي فيما لا أمدح به غيرك، ولا أثني به على أحدٍ سواك، ولا أوجّهه إلى معادن الخيبة ومواضع الرّيبة، وعدلت بلساني عن مدائح الآدميّين؛ والثّناء على المربوبين المخلوقين. اللهم ولكلّ مثنٍ على من أثنى عليه مثوبة من جزاء، أو عارفة من عطاء؛ وقد رجوتك دليلاً على ذخائر الرّحمة وكنوز المغفرة. اللّهم وهذا مقام من أفردك بالتّوحيد 7

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 46

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 63

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 77

الـذي هو لك، ولم ير مسـتحقّاً لهـذه المحامد والممادح غيرك، وبي فاقة إليك لا يجبر مسـكنتها إلّا فضـلك ولا ينعش من خلّتها إلّا منّك وجودك، فهب لنا في هذا المقام رضاك، وأغننا عن مدّ الأيدي إلى من سواك، إنّك على كلّ شيء قدير!» (1).

وقال عليه السلام: ونسأله المعافاة في الأديان، كما نسأله المعافاة في الأبدان» (2).

وكان من دعائه عليه السـلام للنبي عليه السـلام: «اللهم اقسم له مقسـماً من عدلك، واجزه مضعّفات الخير من فضلك. اللهم اعل على بناء البانين بناءه، وأكرم لديك نزله، وشرّف عندك منزله، وآته الوسيلة، وأعطه السّناء والفضيلة واحشرنا في زمرته غير خزايا، ولا نادمين، ولا ناكبين ولا ناكثين ولا ضالّين ولا مفتونين (3)

وكان يدعو عليه السـلام للاستسقاء ويقول: «اللهم قد انصاحت جبالنا، واغبرّت أرضنا وهامت دوابّنا، وتحيّرت في مرابضها، وعجّت عجيج الثّكالى على أولادها، وملّت التردّد في مراتعها، والحنين إلى مواردها. اللهم فارحم أنين الآنة، وحنين الحانة!

اللهم فارحم حيرتها في مذاهبها، وأنينها في موالجها! اللهم خرجنا 05

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 90

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 98

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم 105

إليك حين اعتكرت علينا حـدابير السّـنين، وأخلفتنا محايل الجود؛ فكنت الرّجاء للمبتئس والبلاغ للملتمس. نـدعوك حين قنط الأنام ومنع الغمام، وهلك السّوام، ألّا تؤاخـذنا بأعمالنا، ولا تأخـذنا بـذنوبنا، وانشـر علينا رحمتك بالسّـحاب المنبعق، والرّبيع المغدق، والنّبات المونق سحّاً وابلاً تحيي به ما قد مات، وتردّ به ما قد فات.

اللهم سقيا منك محيبةً مرويةً، تامةً عامةً طيبةً مباركةً، هنيئةً مريعةً، زاكياً نبتها ثامراً فرعها ناضراً ورقها تنعش بها الضّعيف من عبادك، وتحيي بهـا الميّت من بلاـدك! اللّهم سـقيا منـك تعشب بها نجادنا، وتجري بها وهادنا، ويخصب بها جنابنا وتقبل بها ثمارنا، وتعيش بها مواشـينا، وتندى بها أقاصينا وتستعين بها ضواحينا من بركاتك الواسعة، وعطاياك الجزيلة، على بريّتك المرملة، ووحشك المهملة.

وأنزل علينا سـماءً مخضـلةً، مدراراً هاطلةً، يدافع الودق منها الودق، ويحفز القطر منها القطر، غير خلّب برقها، ولا جهام عارضـها، ولا قزع ربابها ولا شـفّان ذهابها، حتّى يخصب لإمراعها المجدبون، ويحيى ببركتها المسـنتون، فإنّك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا، وتنشر رحمتك، وأنت الوليّ الحميد» (1).

وقال عليه السلام أيضاً: اللهم إنّا خرجنا إليك نشكو إليك ما لا يخفى عليك، حين ألجأتنا المضايق الوعرة، وأجاءتنا المقاحط المجدبة 4

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 114

وأعيتنا المطالب المتعسّرة، وتلاحمت علينا الفتن المستصعبة. اللّهم إنّا نسألك ألّا تردّنا خائبين، ولا تقلبنا واجمين ولا تخاطبنا بذنوبنا، ولا تقايسنا بأعمالنا. اللهم انشر علينا غيثك وبركتك ورزقك ورحمتك، واسقنا سقيا نافعةً مرويةً معشبةً تنبت بها ما قد فات وتحيي بها ما قد مات، نافعة الحيا، كثيرة المجتنى، تروي بها القيعان وتسيل البطنان، وتستورق الأشجار، وترخص الأسعار، إنّك على ما تشاء قدير (1).

وقال عليه السلام لما عزم على لقاء أصحاب صفين: «اللهم ربّ السّقف المرفوع، والجوّ المكفوف، الذي جعلته مغيضاً للّيل والنهار، ومجرّى للشّمس والقمر، ومختلفاً للنّجوم السيّارة، وجعلت سكّانه سبطاً من ملائكتك، لا يسأمون من عبادتك. وربّ هذه الأرض التي جعلتها قراراً للأنام، ومدرجاً للهوامّ والأنعام، وما لا يحصى ممّا يرى وما لا يرى. وربّ الجبال الرّواسي التي جعلتها للأرض أوتاداً، وللخلق اعتماداً. إن أظهرتنا على عدوّنا فجنّبنا البغي وسدّدنا للحقّ، وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة واعصمنا الفتنة (2)

وكان من دعائه عليه السلام على قريش: «اللهم انّي أستعديك على قريش ومن أعانهم، فانّهم قطعوا رحمي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي، ثم قالوا: انّ في الحق أن تأخذه وفي الحق أن 71

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 143

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 171

تتركه (1)

وقال عليه السلام: استعملنا الله بطاعته وطاعة رسوله، وعفا عنّا وعنكم بفضل رحمته (2)

وكان عليه السلام يستنهض ويدعو جنوده لجهاد أهل الشام قائلاً: «اللهم أيّما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادلة غير الجائرة، والمصلحة في الدين والدنيا غير المفسدة، فأبى بعد سمعه لها إلّا النّكوص عن نصرتك، والإبطاء عن إعزاز دينك، فإنّا نستشهدك عليه يا أكبر الشّاهدين شهادةً، ونستشهد عليه جميع ما أسكنته أرضك وسماواتك ثمّ أنت بعد المغني عن نصره، والآخذ له بذنبه» (3).

ومن دعائه عليه السلام الذي كان يدعو به كثيراً: «الحمد لله الذي لم يصبح بي ميّتاً ولا سقيماً، ولا مضروباً على عروقي بسوء، ولا مأخوذاً بأسوأ عملي، و لا مقطوعاً دابري، ولا مرتدّاً عن ديني، ولا منكراً لربّي، ولا مستوحشاً من إيماني ولا ملتبساً عقلي، ولا معذّباً بعذاب الأمم من قبلي. أصبحت عبداً مملوكاً ظالماً لنفسي، لك الحجّة عليّ ولا حجّة لي، لا أستطيع أن آخذ إلّا ما أعطيتني، ولا أتّقي إلا ما وقيتني.

اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن أفتقر في غناك، أو أضلّ في هداك، أو أضام 2

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 172 وقريب منه الخطبة 217

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 190

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 212

في سـلطانك، أو أضطهد والأمر لك! اللهم اجعل نفسي أوّل كريمة تنتزعها من كرائمي، وأوّل وديعة ترتجعها من ودائع نعمك عندي! اللهم إنّا نعوذ بك أن نذهب عن قولك أو نفتتن عن دينك، أو تتابع بنا أهواؤنا دون الهدى الذي جاء من عندك!» (1)

ومن دعائه عليه السلام: «اللهم صن وجهي باليسار، ولا تبذل جاهي بالإقتار، فأسترزق طالبي رزقك، وأستعطف شرار خلقك، وأبتلى بحمد من أعطاني وأفتتن بذمّ من منعني وأنت من وراء ذلك كلّه وليّ الاعطاء والمنع، إنّك على كلّ شيء قدير (2)

ومن دعائه عليه السـلام أيضاً: «اللهم إن فهمت عن مسألتي، أو عميت عن طلبتي، فـدلّني على مصالحي، وخـذ بقلبي إلى مراشدي، فليس ذاك بنكر من هداياتك، ولا ببدع من كفاياتك، اللهم احملني على عفوك، ولا تحملني على عدلك» (3).

وكان عليه السـلام يقول إذا لقى العدوّ: «اللّهم إليك أفضت القلوب ومدّت الأعناق، وشـخصت الأبصار، ونقلت الأقدام، وأنضيت الأبدان. اللّهم قد صرّح مكنون الشّنآن وجاشت مراجل الأضغان، اللهم إنّا نشكو إليك غيبة نبيّنا وكثرة عدوّنا، وتشتّت أهوائنا، ربّنا افتح 26

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 215

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 224

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 226

بيننا وبين قومنا بالحقّ وأنت خير الفاتحين. (1)

وقال عليه السلام وقد مدحه قوم في وجهه اللهم انك أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلنا خيراً ممّا يظنون واغفر لنا ما لا يعلمون» (2).

ومن دعائه عليه السلام أيضاً: «اللهم إنّي أعوذ بك أن تحسن في لا معة العيون علانيتي، وتقبح فيما أبطن لك سريرتي، محافظاً على رياء النّاس من نفسي بجميع ما أنت مطّلع عليه منّي، فأبدي للنّاس حسن ظاهري، وأفضي إليك بسوء عملي، تقرّباً إلى عبادك، وتباعداً من مرضاتك» (3).

وفي نهاية عهده عليه السلام لمالك الأشتر: وأنا أسأل الله بسعة رحمته، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة أن يوفقني واياك لما فيه رضاه من الاقامة على العذر الواضح إليه وإلى خلقه مع حسن الثناء في العباد وجميل الأثر في البلاد وتمام النعمة وتضعيف الكرامة، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة، أنّا إليه راغبون. (4)

نعم هذه كانت أدعية أمير المؤمنين عليه السلام، وهي حِكَمَ وعبر وتوجّه إلى الله تعالى وانقطاع إليه. 53

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 15

2- المصدر نفسه، قصار الحكم: 94

3- المصدر نفسه، قصار الحكم: 267

4- المصدر نفسه، الكتاب رقم 53

11 - الخصائص العلوية

نعتقد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لدلائل عقلية ونقلية كثيرة بحثت في مظانّها، وإن حاول القوم - عبثاً - إخفاء هذه الأفضلية، ولفترة عندما كانوا يعدّون الصحابة بحسب الأفضلية، يذكرون ابا بكر وعمر وعثمان ويمسكوا أي يجعلون الصحابة بعدهم سواسية في الفضل (1)، ثم بعد فترة ألحقوا علياً عليه السلام بهم، وكان قسم منهم يتردد في المفاضلة بين علي عليه السلام وبين عثمان (2)؟!.

وهذا من عجيب الأمر، إذ كيف تُنسى تلك الروايات المتواترة والصحيحة الدالة على فضل أمير المؤمنين عليه السلام وتُهمل، ولكن كما قال عليه السلام: «فيا عجباً للدهر إذ صرت يُقرن بي من لم يسع بقدمي، ولم تكن له كسابقتي التي لا يدلي أحد بمثلها، الّا أن يدّعي مدّع ما لا أعرفه،

1- صحيح البخاري 203:4

2- فتح الباري لابن حجر 7:14

ولا أظنّ الله يعرفه» (1).

وقال عليه السلام أيضاً وهو يذكر قصة الشورى: متى اعترض الريب فيّ مع الأول منهم، حتى صرت أُقرن الى هذه النظائر (2)

وعلى كل حال، فانّ خصائص أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله كثيرة لا يحصيها هذا المختصر، ونحن نشير الى بعضها بحسب ما ورد في نهج البلاغة، إذ لو انّ الغياض أقلام والبحر مداد والجن حسّاب والانس كتّاب ما أحصوا فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام (3).

وهذا الحديث النبوي صحيح في معناه حتى لو أغمضنا النظر عن سنده، إذ كيف يتمكن الخلق إحصاء فضائله الظاهرية والباطنية والحال انّ عملاً واحداً منه عليه السلام في يوم الخندق كان أفضل من عبادتهم جميعاً (4)

وفيما يلي نورد بعض خصائصه عليه السلام بحسب ما ورد على لسانه في نهج البلاغة:

1 – اسلامه: مضى انّ أمير المؤمنين عليه السلام أول من آمن برسول 5

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 9

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 3.

3- المناقب للخوارزمي: 32، وينابيع المودة للقندوزي 2: 254

4- المستدرك للحاكم 32:3، تفسير الرازي،32: 31 تاريخ بغداد للخطيب 19:13، كنز العمال للمتقي 11: 623 ح 33035

الله صلى الله عليه و آله و سلم، فلا حاجة الى تكراره، وقد قال عليه السلام عن نفسه الشريفة: «وانّي لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم، سيماهم سيما الصديقين، وكلامهم كلام الأبرار، عمّار الليل ومنار النهار، متمسّكون بحبل القرآن، يحيون سنن الله وسنن رسوله لا يستكبرون ولا يعلون ولا يغلّون ولا يفسدون قلوبهم في الجنان، وأجسادهم في العمل». (1)

2 – صدقه: قال عليه السلام بعد ما بويع بالمدينة: «والله ما كتمت وشمة، ولا كذبت كذبة، ولقد نُبّئت بهذا المقام وهذا اليوم». (2)

وقال عليه السلام: «أتراني أكذب على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم والله لأنا أوّل من صدّقه، فلا أكون أول من كذب عليه. (3).

وقال عليه السلام مخاطباً أهل العراق «وقد بلغني انّكم تقولون: عليّ يكذب، قاتلكم الله فعلى من أكذب أعلى الله فأنا أوّل من آمن به، على نبيّه فأنا أوّل من صدّقه» (4).

وقال عليه السلام في خطبة تشتمل على ذكر الملاحم: فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، انّ الذي أُنبئكم به عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم، ما كذب المبلغ ولا جهل السامع (5). 00

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 192

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم 16

3- المصدر نفسه الخطبة رقم: 37

4- المصدر نفسه الخطبة رقم: 70

5- المصدر نفسه، الخطبة رقم 100

وقال عليه السلام: والذي بعثه بالحق، واصطفاه على الخلق ما أنطق الّا صادقاً، وقد عهد اليّ بذلك كلّه وبمهلك من يهلك، ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمرّ على رأسي الّا أفرغه في اذني و أفضى به اليّ (1).

وقال عليه السلام وهو يصف مكانته من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وقربه منه: وما وجد كذبة لي في قول، ولا خطلة في فعل

(2)

3 – محبته: قال عليه السلام: «لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني، ولو صببت الدنيا بجمّاتها على المنافق على أن يحبّني ما أحبّني، وذلك انّه قضي فانقضى على لسان النبي صلى الله عليه و آله و سلم انّه قال: لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق (3).

ويؤيّده ما رواه مسلم في صحيحه عن علي عليه السلام انّه قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، انّه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه و آله و سلم اليّ لا يحبّني إلّا مؤمن ولا يبغضني إلّا منافق (4)

طبعاً نحن نتمسّك بحبه عليه السلام وولايته، ولا نخرج عن حدّ الاعتدال لنقع في الغلو، إذ كما قال عليه السلام: هلك فيّ رجلان: محب غال، ومبغض .

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 175

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 192

3- المصدر نفسه، قصار الحكم: 40

4- صحيح مسلم كتاب الايمان باب 33 ح 131.

(1)

قال (2). وقال عليه السلام: يهلك فيّ رجلان محب مفرط، وباهت مفتر (3)

4 – زهده: كتب عليه السلام إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: «ألا وانّ امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وانّكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفّة وسداد، فو الله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه اتان دبرة، ولهي في عيني أوهى وأهون من عفطة مقرة ... ولوشئت لاهتديت الطريق إلى مصفّى هذا العسل ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القزّ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، و يقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو باليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مبطاناً و حولي بطون غرثى وأكباد حرّى ... فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همّها علفها، أو المرسلة شغلها تقمّمها، تكترش من أعلافها، وتلهو عمّا يراد بها ... إليك عنّي يادنيا فحبلك على غاربك، قد انسللت من مخالبك، وأفلتّ من حبائلك، واجتنبت الذهاب في مداحضك ... اعزبي عنّي فو الله لا أذلّ لك فتستذلّيني، ولا أسلس لك فتقوديني، و ايم الله يميناً أستثني فيها بمشيئة الله عز وجل، لأروضنّ نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا 57

1- المصدر نفسه، قصار الحكم: 457

2- نهج البلاغة، قصار الحكم: 111

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 457

قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً، ولأدعنّ مقلتي كعين ماء نضب معينها مستفرغة دموعها، أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك، وتشبع الربيضة من عشبها فتربض و يأكل عليّ من زاده فيهجع، قرّت إذاً عينه إذا اقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة و السائمة المرعية» (1).

و رُؤي عليه إزار خلق مرقوع فقيل له في ذلك، فقال عليه السلام: يخشع له القلب و تذلّ به النفس، ويقتدي به المؤمن. (2)

قال عليه السلام: «أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو لا حضور الحاضر، و قيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألّا يقارّوا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز (3).

و قال عليه السلام: و الله لقد رقّعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قال لي قائل: ألا تنبذها؟ فقلت: اعزب عنّي، فعند الصباح يحمد القوم السُّرى (4).

وقال عليه السلام: «انّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة 60

1- نهج البلاغة الكتاب رقم: 45

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 97

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 3

4- المصدر نفسه الخطبة رقم 160

تقضمها، ما لعلي ونعيم يفنى ولذّة لا تبقى (1).

و قال عليه السلام وهو يخاطب الدنيا: يا دنيا يادنيا، إليك عنّي، أبي تعرضت أم إليّ تشوّقت، لا حان حينك، هيهات غرّي غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلّقتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعيشك قصير، وخطرك يسير، و أملك حقير» (2).

و قال عليه السلام: «و الله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم» (3)

5 – بصيرته: قال عليه السلام: «ما شككت في الحق مذ أُريته» (4).

و قال عليه السلام: «و انّ معي البصيرتي ما لبست على نفسي، ولا لُبس علي» (5).

و قال عليه السلام: «وانّي لعلى يقين من ربي، وغير شبهة من ديني» (6)

و قال عليه السلام: «وانّي لعلى بينة من ربي، ومنهاج من نبيّي، وانّي لعلى الطريق الواضح ألقطه لقطاً» (7). 6

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 223

2- المصدر نفسه، قصار الحكم: 72

3- المصدر نفسه، قصار الحكم: 227

4- المصدر نفسه، الخطبة رقم 4

5- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 10

6- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 22

7- المصدر نفسه، الخطبة رقم 96

وقال عليه السلام: «فو الذي لا إله إلّا هو أنّي لعلى جادة الحق، وانّهم لعلى مزلّة الباطل» (1). وقال عليه السلام في البغاة: «وانّي من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي، ويقين من

ربي» (2)

6 – استجابة دعائه: وهي كثيرة وردت الاشارة إلى واحدة منها في نهج البلاغة، وذلك لما بعث أنس بن مالك إلى طلحة و الزبير لما جاءا إلى البصرة يذّكرهما بشيء سمعه من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في معناهما، فلوى عن ذلك فرجع إليه فقال: انّي نسيت ذلك الأمر، فقال عليه السلام: «إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لامعة لا تواريها العمامة» يعني البرص، فأصاب أنساً هذا الداء فيما بعد في وجهه، فكان لا يرى الّا مبرقعاً (3).

7 – شجاعته: قال عليه السلام في الناكثين: فان أبوا أعطيتهم حدّ السيف، و كفى به شافياً من الباطل، و ناصراً للحق، ومن العجب بعثهم اليّ أن ابرز للطعان، وأن اصبر للجلاد هبلتهم الهبول، لقد كنت وما أُهدد بالحرب ولا أُرهب بالضرب (4).

و قال عليه السلام بعدما ذكر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و كيفية دعوته وارشاده: 22

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 197

2- المصدر نفسه الكتاب رقم 62

3- المصدر نفسه، قصار الحكم: 302

4- المصدر نفسه الخطبة رقم 22

«أما و الله إن كنت لفي ساقتها حتى تولّت بحذافيرها، ما عجزت ولا جبنت» (1).

وقال عليه السلام في حثّ الناس على جهاد أهل الشام: و الله انّ امرأً يمكّن عدوّه من نفسه، يعرق لحمه ويهشم عظمه، ويفري جلده، لعظيم عجزه ضعيف ما ضمّت عليه جوانح صدره أنت فكن ذاك إن شئت، فأمّا أنا فو الله دون أن أعطي ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام، وتطيح منه السواعد و الأقدام» (2).

و قال عليه السلام بعدما استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين: «أما قولكم: أكلّ ذلك كراهية الموت فو الله ما أُبالي دخلت إلى الموت أو خرج الموت اليّ» (3).

وقال عليه السلام: «انّ أكرم الموت القتل و الذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون من ميتة على الفراش (4)

وقال عليه السلام: و الله لو تظاهرت العرب على قتالي لما ولّيت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها». (5) 5

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 33

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم 34

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 54

4- المصدر نفسه الخطبة رقم: 122

5- المصدر نفسه الكتاب رقم 45

وقال عليه السلام: انّي و الله لو لقيتهم واحداً و هم طلاع الأرض كلّها ما باليت ولا استوحشت» (1).

وأخيراً قيل له عليه السلام: «بأيّ شيء غلبت الأقران؟ فقال: «ما لقيت رجلاً الّا أعانني على نفسه يومئ عليه السلام بذلك إلى تمكّن هيبته في القلوب (2).

8 – علمه: قال عليه السلام: اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطويّ البعيدة» (3).

و قال عليه السلام: «فاسألوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم و بين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضلّ مائة الّا نبأتكم بناعقها و قائدها وسائقها، ومناخ راكبها ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً، ومن يموت منها موتاً» (4).

و قال عليه السلام بنفس المضمون: «أيّها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض (5).

و قال عليه السلام: وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من كان يسأله 9

1- نهج البلاغة، الكتاب رقم: 62

2- المصدر نفسه، قصار الحكم 309

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم 5

4- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 92

5- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 189

ويستفهمه، حتى إن كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي أو الطارئ، فيسأله حتى يسمعوا، و كان لا يمرّ بي من ذلك شيء الّا سألت عنه وحفظته» (1)

و قال في وصيته للإمام الحسن عليه السلام: «أي بني، انّي وإن لم أكن عُمّرت عمر من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم، و فكّرت في أخبارهم و سرت في آثارهم حتى عُدت كأحدهم، بل كأنّي بما انتهى اليّ من امورهم قد عمّرت مع أولهم إلى آخرهم، فعرفت صفو ذلك من كدره، ونفعه من ضرره» (2).

و في عهده عليه السلام للأشتر: واعلم أنّ الرعية طبقات لا يصلح بعضها الّا ببعض، و لا غنى ببعضها عن بعض، فمنها جنود الله، ومنها كتّاب العامة و الخاصة، و منها قضاة العدل، و منها عمّال الانصاف و الرفق، و منها أهل الجزية و الخراج من أهل الذمة و مسلمة الناس، و منها التجار و أهل الصناعات، و منها الطبقة السفلى من ذوي الحاجة و المسكنة، وكلاً قد سمّى الله سهمه، و وضع على حدّه و فريضته في كتابه أو سنة نبيه صلى الله عليه و آله و سلم عهداً منه عندنا محفوظاً» (3).

و يدخل أيضاً في غزارة علمه عليه السلام إخباره بالمغيبات التي تعلمها من 53

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 210

2- المصدر نفسه الكتاب رقم: 31

3- المصدر نفسه، الكتاب رقم 53

رسول الله صـلى الله عليه و آله و سـلم، وهذا ما صـرّح به عليه السلام لبعض أصحابه لما قال له: لقد أُعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب، فضحك و قال: «ليس هو بعلم غيب، و انّما هو تعلّم من ذي علم، و انّما علم الغيب علم الساعة، و ما عدّده الله سبحانه بقوله: (إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ...) (1) الآية، فيعلم سـبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى، و قبيح أو جميل، و سخي أو بخيل، و شقي أو سعيد، و من يكون في النار حطباً، أو في الجنان للنبيين مرافقاً، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد الّا الله، و ما سوى ذلك فعلم علّمه الله نبيه صـلى الله عليه و آله و سلم فعلّمنيه، و دعا لي بأن يعيه صدري، وتضطمّ عليه جوانحي» (2).

و مما ورد في نهج البلاغة من اخباره بالمغيبات قوله عليه السـلام في مروان ابن الحكم: «أما انّ له إمرة كلعقة الكلب أنفه، و هو أبو الأكبش الأربعة، و ستلقى الأمة منه و من ولده يوماً أحمر» (3).

قال عليه السـلام: فو الّـذي فلق الحبّـة، وبرأ النّسـمة، إنّ الـذي أنبّئكم به عن النّبيّ صـلى الله عليه و آله و سـلم ما كـذب المبلّغ، ولا جهل السّامع، لكأنّي أنظر إلى ضـلّيل قد نعق بالشّام، وفحص برایاته في ضواحي كوفان. فإذا فغرت فاغرته و اشـتدّت شـكيمته و ثقلت في الأرض وطأته، عضّت الفتنة 72

1- لقمان: 34

2- نهج البلاغة الخطبة رقم: 128

3- المصدر نفسه الخطبة رقم: 72

أبناءها بأنيابها، وماجت الحرب بأمواجها، وبدا من الأيّام كلوحها، ومن اللّيالي كدوحها.

فإذا ينع زرعه وقام على ينعه وهـدرت شقاشـقه وبرقت بوارقه عقدت رايات الفتن المعضـلة، و أقبلن كالليل المظلم، و البحر الملتطم. هذا، وكم يخرق الكوفة من قاصف، و يمرّ عليها من عاصف! و عن قليل تلتفّ القرون بالقرون، ويحصد القائم، ويحطم المحصود!» (1)

وقال صـلى الله عليه و آله و سـلم: فتن كقطع اللّيل المظلم، لا تقوم لها قائمـة، ولا تردّ لها رايـة، تأتيكم مزمومةً مرحولةً: يحفزها قائدها، و يجهـدها راكبهـا، أهلها قوم شديـد كلبهم، قليل سـلبهم، يجاهـدهم في الله قوم أذلّـة عنـد المتكبّرين، في الأرض مجهولون، وفي السّـماء معروفون.

فويل لك يا بصرة عند ذلك من جيش من نقم الله! لا رهج له، ولا حسّ وسيبتلى أهلك بالموت الأحمر، والجوع الأغبر (2).

و قال عليه السلام: «أما والله ليسلّطنّ عليكم غلام ثقيف الذّيال الميّال، يأكل خضرتكم، ويذيب شحمتكم» (3).

و قال عليه السلام عن البصرة: «يا أحنف كأنّي به وقد سار بالجيش 15

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 100

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 101

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم 115

الـذي لاـ يكون له غبـار و لا لجب، ولا قعقعـة لُجم، ولا حمحمـة خيل، يثيرون الأرض بأقـدامهم كأنّها أقـدام النّعام. يومىء بـذلك (عليه السـلام) إلى صاحب الزّنج. ثمّ قال (عليه السـلام): ويل لسـككم العامرة، ودوركم المزخرفة التي لها أجنحة كأجنحة النّسور، و خراطيم كخراطيم الفيلة، من أولئك الذين لا يندب قتيلهم، ولا يفقد غائبهم أنا كابّ الدنيا لوجهها، وقادرها بقدرها، وناظرها بعينها.

منه: ويومئ به إلى وصف الاـتراك: كـأنّي أراهم قوماً كأنّ وجوههم المجانّ المطرّقـة، يلبسون السّـرق والـدّيباج ويعتقبون الخيل العتاق، و يكون هناك استحرار قتل، حتّى يمشي المجروح على المقتول، و يكون المفلت أقلّ من المأسور!» (1).

و قال عليه السـلام: ألا وفي غدٍ – وسيأتي غد بما لا تعرفون – يأخذ الوالي من غيرها عمّالها على مساوئ أعمالها، و تخرج له الأرض أفاليذ كبـدها، و تلقي إليه سِـلماً مقاليـدها، فيريكم كيف عدل السّـيرة، و يحيي ميّت الكتاب و السّـنّة. كأنّي به قد نعق بالشّام، و فحص براياته في ضواحي كوفـان، فعطف عليها عطف الضّـروس، وفرش الأرض بالرّؤوس، قـد فغرت فاغرته وثقلت في الأرض وطأته، بعيـد الجولـة، عظيم الصّولة. والله ليشرّدنّكم في أطراف الأرض حتى لا يبقى منكم إلّا قليل، كالكحل في العين فلا تزالون كذلك، حتّى تؤوب إلى العرب .

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 128.

عوازب أحلامها» (1).

وقال عليه السلام: وإنّه سيأتي عليكم من بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحقّ، ولا أظهر من الباطل، ولا أكثر من الكذب على الله و رسوله وليس عند أهل ذلك الزّمان سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حقّ تلاوته ولا أنفق منه إذا حرّف عن مواضعه، ولا في البلاد شيء أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر! (2)

وقال عليه السلام في دولة بني أُمية: فعند ذلك لا يبقى بيت مدر ولا وبر الّا وأدخله الظلمة ترحة، وأولجوا فيه نقمة فيومئذٍ لا يبقى لهم في السماء عاذر، ولا في الأرض ناصر ... فأقسم ثم أقسم لتنخمنّها امية من بعدي كما تلفظ النخامة ثم لا تذوقها ولا تتطعّم أبداً ما كرّ الجديدان» (3).

وقال عليه السلام: و الله لو شئت أن أُخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، ألا وانّي مفضيه إلى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه، والذي بعثه بالحق واصطفاه عن الخلق، ما أنطق الّا صادقاً، وقد عهد اليّ بذلك كلّه، و بمهلك من يهلك، ومنجى من ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى 58

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 138

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 147

3- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 158

شيئاً يمرّ على رأسي الّا أفرغه في اذني وأفضى به اليّ (1).

وقال عليه السلام: يأتي على النّاس زمان لا يقرّب فيه إلّا الماحل، ولا يظرّف فيه إلّا الفاجر، ولا يضعّف فيه إلّا المنصف، يعدّون الصّدقة فيه غرماً، وصلة الرّحم مناً، والعبادة استطالةً على الناس! فعند ذلك يكون

السّلطان بمشورة الاماء، وإمارة الصّبيان، وتدبير الخصيان! (2)

وأخيراً قال عليه السلام: التعطفنّ الدنيا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها، وتلا عقيب ذلك: (وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) (3) (4). 99

1- نهج البلاغة الخطبة رقم 175

2- المصدر نفسه، قصار الحكم: 96

3- القصص: 5

4- نهج البلاغة، قصار الحكم 199

12 - علي عليه السلام و الشهادة

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين: لولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين (1).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام سيد المتقين وكان يتلهّف إلى الشهادة والى لقاء ربه، وفي كل معركة كان عليه السلام يترقب ذلك، ولما حيزت عنه الشهادة يوم احد شق ذلك عليه حتى أنّه شكي ما به من ألم إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و هو عليه السلام يصور لنا هذه المحاورة بصورة رائعة و يقول: فقلت: يارسول الله أوليس قلت لي يوم أُحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين وحيزت عنّي الشهادة، فشق ذلك عليّ، فقلت: أبشر فانّ الشهادة من ورائك، فقال لي: انّ ذلك لكذلك فكيف صبرك إذن؟! فقلت: يارسول الله ليس هذا من مواطن الصبر، ولكن من مواطن البشرى و الشكر (2).

1- نهج البلاغة، الخطبة رقم: 193

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 156

وكان عليه السلام يقول لجنده أيام خلافته: «فو الله لولا طمعي عند لقائي عدوّي في الشهادة، وتوطيني نفسي على المنية، لأحببت أن لا أبقى مع هؤلاء يوماً واحداً، ولا ألتقي بهم أبداً» (1).

وبنفس المضمون قال مرّة اخرى: و الله لولا رجائي الشهادة عند لقائي العدوّ - ولو قد حمّ لي لقاؤه - لقرّبت ركابي، ثم شخصت عنكم فلا أطلبكم ما اختلف جنوب و شمال» (2).

وكان عليه السلام يدعو أن يرزقه الله تعالى الشهادة شوقاً إليها، فكتب في عهده إلى الأشتر: (وأنا أسأل الله بسعة رحمته وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة ... أن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة» (3).

وكان من دعائه عليه السلام لما عزم على لقاء أهل الشام: « ... وإن أظهرتهم علينا فارزقنا الشهادة» (4).

وكان عليه السلام متألّماً لتأخّر فوزه بالشهادة، وكان تألمه هذا يظهر في بيانه وما سطره ببنانه، فقال عليه السلام فيما كتبه لمعاوية حينما ذكر استشهاد حمزة وجعفر وعبيدة بن الحارث: وأراد من لوشئت ذكرت اسمه مثل الذي أرادوا من الشهادة، ولكن آجالهم عُجّلت ومنيته أُخّرت» (5). 9

1- نهج البلاغة الكتاب رقم 35

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم: 118

3- المصدر نفسه الكتاب رقم 53

4- المصدر نفسه الخطبة رقم: 171

5- المصدر نفسه الكتاب رقم 9

وكان عليه السلام يقول بملئ فمه المبارك: «و انّي إلى لقاء الله لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر راج» (1).

بل انّه عليه السلام كان يأنس بالموت كما قال: «والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي امّه» (2).

وأخيراً

لما ضربه ابن ملجم (لعنه الله)

صاحت الأفلاك: تهدمت والله أركان الهدى

و صاح عليّ عليه السلام

فزت ورب الكعبة 5

ص: 206

1- نهج البلاغة الخطبة رقم: 62

2- المصدر نفسه، الخطبة رقم 5

الفهرس

تمهيد ... 5

1 - علي و رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ... 7

1 - إسلامه عليه السلام ... 8

2 - جهاده عليه السلام ... 10

3 - اختصاصه بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم ... 12

4 - الروايات المسندة ... 14

5 - ساعة الرحيل ... 19

2 - علي بعد الرسول صلى الله عليه و آله و سلم ... 23

1 - السقيفة ... 24

2 - مظلومية الزهراء عليها السلام ... 28

3 - فدك ... 31

4 - مساعدة السلطة ... 38

3 - علي عليه السلام والإمامة ... 41

4 - علي عليه السلام والخلفاء ... 52

1 - أبو بكر ... 52

2 - عمر بن الخطاب ... 54

3 - عثمان بن عفان ... 63

5 - علي عليه السلام والخلافة ... 72

1 - البيعة ... 72

2 - تحليل نفسية المجتمع ... 78

3 - وصف المسلمين آنذاك ... 84

4 - سيرته عليه السلام الحكومية ... 96

5 - سيرته عليه السلام المالية ... 107

6 - سيرته عليه السلام الحربية ... 116

6 - علي عليه السلام والبغاة ... 124

1 - حكم البغاة ... 124

2 - أصحاب الجمل ... 136

3 - أصحاب صفين ... 145

4 - الخوارج ... 158

7 - علي انا والصحابة ... 169

8 - علي عليه السلام وبنو امية ... 175

9 - علي عليه السلام وقريش ... 178

10 - أدعية علي عليه السلام ... 180

11 - الخصائص العلوية ... 188

12 - علي عليه السلام والشهادة ... 204

الفهرس ... 207

ص: 208

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹